العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
الرياض – المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الجزء الأول – السنة الرابعة – رجب ١٣٨٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٩م

دارات العرب

– ١ –

نحاول في هذه الكلمة تحديد مواقع الدارات ، اكمالا لما كتبه الاخ الاستاذ عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ببحثه المنشور بعد هذا المقال :

ومن أدق ما ورد عن المتقدمين في تحديد الدارة قول أبي علي الهجري : الدارة النبكة السهلة حفتها الجبال ، ومقدار الدارة خمسة اميال في مثلها [١] .

اما لماذا حفل الشعر القديم بذكر الدارات؟! فذلك لأن القوم يتخذونها منزلا لهم لاتصافها بكل الصفات الملائمة للمنزل ، فهي لينة سهلة لمبارك الابل ، ولمرابض الغنم ، ولجلوس القوم ، ثم هي مرتفعة عن مجاري السيول ، محاطة بتلال او جبال تحمي من الرياح في الغالب ، ولخصوبة أرضها ، فهي مرتع للبهم والغنم ، وملعب للصبي ، وهي في الوقت نفسه متسع لأكبر عدد من بيوت الحي .

وفي الكتب الجغرافية اسماء كثير من الدارات ولكن التصحيف والتحريف دخلها كغيرها من أسماء المواضع ، ولهذا فان مما ينبغي على الباحث الاهتمام به التحقق من صحة الاسم ، وسنأتي على اسماء ما عرفناه منها مع ذكر ما نلاحظه .

---

(١) كتاب « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ص : ٣٨

١ — دارة أجد :

ذكر هذه الدارة ياقوت نقلاً عن ابن السكيت ، وارى ان كلمة أجد تحريف (اجأ) وان هذه الدارة هي دارة بحتر ، القبيلة الطائية واجأ أشهر جبل في بلاد طي كما هو معروف وبحتر لهم دارة سيأتي ذكرها .

٢ — دارة الآرام :

ذكرها ياقوت واورد شاهداً عليها قول البرج بن خنزير التميمي :

فأبرق وأرعد لي إذا العيس خَلَّفت
بنا دارة الآرام ، ذات الشقائق

يخاطب الحجاج ، حينما ألزمه البعث الى المهلب لقتال الازارقة ، فهرب إلى الشام واذن فهذه الدارة تقسع بين العراق والشام ، وليست في بلاد الضباب كما ذكر ياقوت وبلاد الضباب لا تقع بين مكة والمدينة بل في قلب نجد مكتنفة ضَرِية . ولهم بلاد في نواحي تربة . أما الجبل المسمى بآرام ، فهو في بلاد بني سُلَيم . وللضباب قُنّة سوداء ، في بلادهم تدعى ذات آرام ، ويلاحظ أن الآرام حجارة تنصب فتكون كالعلم، ولهذا يكثر اطلاق الاسم وصفاً لا علما .

ومما يلاحظ أيضاً وجود موضع يدعى ذات آرام ، بقرب نَمَلى ، ورد فيه قول الشاعر :

وفي ذات آرامٍ خَبُوءٌ كثيرة
وفي نَمَلى — لو تعلمون الغنائم

ونَمَلَى هذه لها دارة من دارات العرب المشهورة — كما سيأتي .

٣ — دارة الاسواط

نقل ياقوت انها بظهر الابرق بالمضجع وانها برقة بيضاء لبني قيس بن جزء ابن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، والاسواط مناقع المياه ، ولم يحدد المضجع في كتابه تحديداً وافياً ، غير انه اكتفى بما أورد عن أبي زياد من وصف المضجع بأنه خير بلاد أبي بكر وأكبرها ، وانه يسمى المضاجع ايضا .

ويفهم من كلام مؤلف كتاب « بلاد العرب » ، بأنه أرض واسعة ، فيها جبال ورمال ومياه وانه لبني ابي بكر خاصة ، كما يفهم من تحديده انه يقع في عالية نجد غرب جبال عرض شمام (القويعية) وشرق أودية سبيع أي في مفيض وادي الخرمة وما حوله وجنوب غرب منهل عفيف ، ويقع منهل سجا وما حوله في المضجع ، ومن جبال بني ابي بكر هؤلاء العرايس والاخرج ، ولا يزالان معروفين والاخرج يدعى الخرج من قبيل تسهيل الهمزة .

وللهجري كلام يوضح موقع المضجع ، فقد قال :

العظاة : بئر بعيدة القعر ، عذبة ، بالمضجع بين رمـــل الشرة وبيشة ، والى جانبها الأروسة والكهفة قربها [1]

ومن أودية المضجع خنثل على ما ذكر مؤلف كتاب « بلاد العرب » [2] وخنثل واد عظيم لا يزال معروفاً جنوب غرب سجا .

٤ – دارة الأكوار :

قال عنها ياقوت انها في ملتقى دار ربيعة بن عقيل ، ودار نهيك ، وذكر ان الاكوار جبال ، وعـــن تعريفه نقل من جاء بعده كصاحب القاموس وشارحه .

والذي ألاحظ ان كلمة (نهيك) تحريف (نهد) مع ان الذين نقلوا عـــن ياقوت اوردوا اللفظ كما أورده ، ولكننا لا نجد فيما بين أيدينا من كتب النسب اسم نهيك يطلق على قبيلة ، ونلاحظ ان ربيعة بن عقيل كانت منازلهم في الجنوب الشرقي من اطراف الحجاز المتصلة بنجد ، وانهم يجاورون بني جشم من الغرب ، ويشاركونهم في منهل بُريم الواقع بقرب جبل حضن ، وبنو نهد يسكنون في الأودية الواقعة في الجنوب الشرقي من حضن المنحدرة من سراة عسير ، وإذن فهم قريبون من بلاد بني ربيعة بن عقيل .

٥ – دارة الأسود :

وهذه الدارة تقع بقرب بلدة ضرية تبعد عنها على طريق المدينة بـ ١٩

(١) : « ابو علي الهجري » : ٣٢٤
(٢) ص ١٦٢

ميلا قال الهجري : وكان سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق احتفر عينا على ميل من حَفْشر بني الأدرم ، وأجراها ، وغرس عليها نخلا كثيراً ، وازدرع ، وبنى هناك دارة تُدعى بدارة الأسود ، لأنها بين جبل عظيم أسود ، ورَملة[1] .

٦ – دارة أهْوَى :

ذكرها ياقوت : وقال بأنها من أرض هجر ، وأورد من الشواهد قول الراعي :

تهانفت واستبكاك رسم المنـــازل
بدارة أهــوى ، أو بسوقة حائل

وأورد أيضاً : أهوى ما لبني قتيبة الباهليين. ولما تكلم على أهوى أتى بما قال هنا من انها بأرض هجر ، وأورد بعده عن الحفصي عالم اليامة ومؤلف الكتاب الذي هو من مصادر ياقوت عن تحديد مواضعها أورد عنه أن أهوى بأرض اليامة من بلاد قشير ، وأورد عن نصر أنها من المروت .. والقول الاخير هو الصواب ، وهو الذي ينطبق عليه الشاهدان اللذان ذكرهما ياقوت للنابغة الجعدي وللراعي ، وانظر لتحديد موقع أهوى كتاب « بلاد العرب »[2].

٨ – دارة باسل :

أورد اسمها ياقوت نقلا عن ابن السكيت قائلا : ولم أظفر لها بشاهد وما أظنها الا دارة ماسل انتهى . وهو رأي صحيح .

٩ – دارة بتيل :

لم ار لها ذكراً ولكنني أعتقد بأن هذه الدارة هي ما سماه ياقوت دارة تبل ، فتصحف الأسم على المتقدمين ، وانظر ما سيأتي بعد .

---

(١) : كتاب « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ص ٢٥٤
(٢) – ص : ٣٦٤ و ٣٦٦ .

١٠ — دارة بحتر :

قال ياقوت وسط جبل اجأ احد جبلي طي قرب جوّ ، وساق نسب بحتر إلى طي ، وهو معروف ، وأرى أن جوا هذا الذي يعنيه هو الواقع في جوف اجا ، الذي ورد في شعر القائل :

واجأ وجوها فؤادهـا إذا الفتى كاثر انخضادها

وجو هذا قرية لا تزال معروفة ذات نخل كثير .

١١ — دارة بدوتين :

ذكر ياقوت انها لربيعة بن عقيل ، وان بدوتين هضبتان بينهما ماء ، وتقدم ذكر بلاد ربيعة بن عقيل ، عند ذكر دارة الأكوار .

١٢ — دارة البيضاء :

اسم البيضاء يطلق على عدة مواضع ، ودارة البيضاء قال عنها ياقوت : الجثوم ماء لبني الأضبط يصدر في دارة البيضاء . وإذَنْ البيضاء هذه بقرب الجثُوم ، وجثوم بني الأضبط هؤلاء مَنْهَلٌ غرب بلدة ضَرِيَّة لا يزال معروفاً ، وهو غير بيضاء بني عقيل الذين تقع بلادهم في غرب نجد وجنوبه ، ويفصل بينهم وبين بني الأضبط أفخاذ بني كلاب العديدة .

١٣ — دارة تيل :

ذكرها ياقوت ، وأورد تعريفاً لِتيل ، وشاهداً من قول ابن مُقبِل :

لِمَنِ الدِّيارُ بجانب الأحفار فَبتيلُ دَمْخٍ ، أو بسفح جُرارُ

والذي يظهر لي : ان تيل هو تحريف بَتِيل ، سقطت الباء فيما نقل عنه ياقوت ، ذلك :

١ — أن الشاهد الذي أورده هنا صواب قراءته : فَبَتيل دَمخٍ — بفتح الباء باعتبارها من أصل حروف الاسم ، والفاء حرف عطف لا حرف جَرّ .

٢ — أن الوصف الذي أورده ينطبق على جبل البتيل الذي لا يزال

معروفـاً ، وجملة (من وراء تُرَبة) تصح بالنسبة للمتكلم إذا كان في غرب الجزيرة ، بمكة وحولها ، فتنطبق على جبل البتيل .

٣ ـ أن ياقوتاً نفسه أورد تعريفاً مقارباً لهذا البتيل فقال : جبل أحمر ، يناوح دَمْخاً من ورائه ، في ديار بني كلاب ، وهناك قليب يقال لها البتيلة .

٤ ـ أن الشاعر أضاف الاسم الى دَمْخ ، والقريب من دَمْخ هو البتيل ، ولا يزال معروفاً ، كأنه انبتل من دَمْخ ، أي انقطع .

٥ ـ أننا إذا قلنا بأنه من وراء تربة بالنسبة الينا فإنه يكون بعيداً عن جبل دَمْخ المعروف لدينا ، بُعداً شاسعاً فجبل دَمْخ من جبـال العِرْض (عرض القويعية) وتُرَبة بعيدة عن تلك الجهات ، فضلاً عمّا وراءها .

١٤ ـ دارة الجأب :

الجأب لبني الهُجَيم بن عمرو بن تميم ، ومنازل هؤلاء تقع في شرقي القصيم ، مجاورين لإخوتهم بني أُسيِّد ، فمن منازل بني الهجيم الباقية : حنيظـل ، والموسجة (الموشزية) وكان لهم قرية مشهورة من منازل الحجاج ، تقع شرق حنيظل في جوف الرّمال (النفود) تسمى السُّمَيْنة .

والجأب في اللغة : المَغْرة ـ الطينة الحمراء التي تصبغ الثياب ـ وهكذا طبيعة كثير من القُرى الواقعة في تلك الجهات .

١٥ ـ دارة الجشوم :

قال ياقوت عن هذه الدارة بأنها لبني الاضبط بن كلاب وان الجشوم ماء لهم ، يصدر في دارة البيضاء .

ولهذا أرى انها هي دارة البيضاء المتقدم ذكرها .

١٦ ـ دارة جُلْدّى :

دارة جُلْدّى ، ودارة جُلْجُد: ذكرها ياقوت وأورد الشاهد عليها واحداً من شعر الأفوه الأودي ، أورده بصيغتين :

١ — بدارات جُدّى، أو بصارات جنبل الى حيث حلّت من كثيب وعزمل

٢ — بدارات جُهْدٍ .. الخ . قائلاً : كذا وجدته في شعر الأفوه .

ولعدم تحقق ياقوت صحة الإسم لم يورده في موضعه من كتابه .

أما القول بأن جُدّى جبل بنجد في ديار طيّء فيردّه أن بلاد بني أود في أطراف الحجاز الجنوبية المتصلة باليمن .

١٧ — **دارة جُلجل :**

هذه من أشهر الدارات أورد ياقوت في تحديدها :

١ — قول ابن السكيت في شرح قول امرىء القيس :

ألا رُبّ يوم لكَ منهن صالحٌ ولا سيّما يوم بدارة جُلجُل

قال : دارة جلجل بالحمى . ونقل مثل ذلك عن الأصمعي وابي عبيدة .

٢ — ويقال بغمر ذي كندة .

٣ — وقال ابن دريد في كتاب « البنين والبنات » : دارة جلجل بين شُعَبى ، وبين حسلات ، وبين وادي المياه وبين البَرَدان ، وهي [في] دار الضباب ، مما يواجه نخيل بني فزارة .

٤ — ونقل عن الأصمعي بأنها من منازل حُجر الكندي ، بنجد .

٥ — وأورد في دارة واسط بيتاً يدل على تقارب الدارتين .

هذا ملخص ما أورد ياقوت في تحديدها ، على ان الهجري ، وهو ممن عرف نجداً معرفة مشاهدة وعلم ، قال عن دارة جلجل : وجلجل يمانيةٌ من دور بني الحارث بن كعب [1] ، وأرى ان الصواب مع الهجري ، إذ لو كانت في الحمى لكثر ذكرها على ألسنة شعرائه ، على أننا

---

(١) كتاب « ابو علي الهجري » ص ٣٨٠ .

نجد قولاً للاصمعي ، وهو يحدد موضع مملكة حجر الكندي بنجد بقوله : ما بين طمية الى حمى ضرية إلى دارة جلجل من المضيق الى بطن نخلة الشامية فهذه العبارة إن كانت صحيحة تدل على أن دارة جلجل ليست كما حددها ابن دريد ، ذلك التحديد الدقيق، بين مواضع لا تزال كلها معروفة في غرب بلدة ضرية وقد أورد ياقوت أيضاً لابن دريد قوله : البردان ماء للضباب قرب دارة جلجل ، والبردان هذا يقع بقرب وادي المياه ، الواقع غرب ضرية ، والذي هو جزء من وادي الجريب .

١٨ — دارة الجُمُد

الجماد : الحجارة واحدها جُمد ، قال عمارة :

ألا يا ديار الحي من دارة الجُمُد سلمتِ على ما كان من قدم العهد

وقد ذكر طفيل الغنوي موضعاً بسكون الميم :

وبالجُمْد إن كان ابن جُندع قد ثوى يُسنّى عليه بالصفائح والحجب

ولا أعرف شيئاً عن تحديد هذه الدارة .

١٩ — دارة جهد

انظر دارة جدّي

٢٠ — دارة جودات

اوردها ياقوت ، وأورد شاهدها من قول الجُميح ، وهو منقذ بن الطمّاح الأسدي :

إذا حللتُ بجودات ودارتها وحال دوني من حوّاء عرنينُ
عَرَفْتُمُ أنَّ حقّي غيرُ مُنتزَع وأن سلمكم سلم لها حينُ

والغريب ان ياقوتا لم يذكر (جودات) في موضعها من كتابه .

أما الزبيدي — والله يغفر لنا وله — فانه في تحديد المواضع لا يكاد يبصر

موقع قدمه ، ومزيّة كتابه محصورة في النقل والجمع ، فليته ذكر المصدر ، على أن مما يقوي قوله – وهو ضعيف – ان الجميع أسدي ، وبلاد بني أسد مجاورة لبلاد طيّء ، الا ان جودات وحوّاء لا نرى لها ذكراً فيما بين أيدينا من الكتب في المواضع التي تضاف الى بني أسد .

٢١ – دارة الخُرْج

أرى صواب الاسم هنا بضم الخاء – لا كما ذكر ياقوت – ما دام شاهده قول المخبل السعدي التميمي :

مُحَبَّسة في دارة الخُرْج لم تَذُقْ بِلالاً ، ولم يسمح لها بِتَحْجِيل

والخُرْج هنا كما نقل ياقوت عن الحازمي : وادٍ في ديار بني تميم لبني كعب ابن العنبر ، بأسافل الصمان . وجاء في « شرح ديوان الحطيئة » : قال عمارة الخُرْج عن يسار القبلة من اللِّهَابة لهابة كعب بن العنبر ، بأسفل الصمان أما بلاد الخَرْج – بفتح الخاء – فالمياه وعلف الدواب فيها كثير جدا .

٢٢ – دارة الخَلاءة

وهو الحَرَن في الناقة كذا قال ياقوت ولم يزد ، ولهذا يصح القول بأن الاسم لا يزال بحاجة إلى تصحيح ، فضلا عن معرفة مُسَمّاه .

٢٣ – دارة الخنازير

٢٤ – دارة خَنْزَر

٢٥ – دارة الخَنْزَرَتَيْن

٢٦ – دارة الخَنْزَرَيْن

٢٧ – دارة الخِنْزِيرَتين

– دارة الخنازير : لا يبعد أن تكون التي بعدها إلا أن المُجَبَّر هكذا جاء بها :

ويوما بدارات الخنازير لم يئل من الغطفانيين إلا المشرد

ـ ولكن الشعراء كثير ما يزيدون في الاسم او ينقصون لوزن الشعر

وفي دارة خنزر قال الجعدي :

ألم خيال من أميمة موهنا طروقا واصحابي بدارة خنزر

وقال السكري : خنزر : هضبة في ديار بني كلاب، قال عبدالله بن نوالة :

أيمنعني التقوى اذا ما أردتها سديف بجنبي خنزر فجباجب ؟

الجباجب شيء يصنع من الجلد .

وأورد ياقوت للحطيئة :

إن الرزية لا اباالك هالك بين الدماخ وبين دارة خنزر

وعن دارة الخنزرين : قال ياقوت : من مياه حمل بن الضباب في الأرطاة، ويقال دارة الخنزرتين وقال ابن دريد : الخنزرتين ، وربما قالوا في الشعر دارة الخنزر ، وهي لبني حمل من من الضباب ، والارطاة تصدر فيها وهي ماءة للضباب .

وأقول ان هذه الاسماء الخمسة تنطبق على دارة واحدة تسمى الآن دارة خنزير ، ودارة الجنيج ، والدارة بدون اضافة ، وتقع في طرف نفود الشرة حيث يحدها شرقاً وشمالا ، ويحدها من الشمال الغربي نفود الصخة ، ويقع منهل الصخة بينها وبين هذا النفود ، ويقع في طرفها الجنوبي جبل خنزير ، ومن هنا كانت التسمية ، وفي طرفها الشمالي جبل الجنيج (كذا ورد مرسوماً على المصور الجغرافي) والدارة أيضاً مرسومة وتقع على الدرجة ٢٣/١٠° و ٥٠/٤٣° ، وهي أشهر الدارات في بلاد نجد .

للبحث صلة

حمد الجاسر

دارات العرب في تراثهم الجغرافي اللغوي

— ١ —

١ — تمهيد :

إذا علمنا أن الجزيرة العربية كانت المستراد الأول للغة العربية الأصيلة ، والمنطلق النيّر لدعوة الرسول ﷺ ، والنبع الثرّ للثقافة العربية والاسلامية ، فإن الواجب يحتم علينا أن نُعنى بدراسة هذه الجزيرة بمختلف جوانبها ، وأن نستجلي دقائق ما غمض علينا من معالمها وقد درسها الأولون من قبل دراسة وافية من الوجهة التاريخية والأدبية والجغرافية ، وتركوا لنا في ذلك مصنفات قيّمة ، فكان من حقنا القيام بإحياء ما درسوه وعرضه وتحليله ، ليتم لنا بذلك استكناه حلقات لا تزال مفقودة من تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية ، وإذا لم نقم نحن بهذا العبء فمن يقوم به إذن ؟ هل ننتظر من المستشرقين البعيدين عن أرضنا وتاريخنا أن يحدّثونا عن جزيرتنا ونحن ألصق بها وأولى بمعرفتها ؟!

على ان ثمت جانباً من جوانب جغرافية هذه الجزيرة تتوجب علينا معرفته والالمام به حيث يفتقر اليه الدارس لأدب الجزيرة وتاريخها وجغرافيتها ذلك هو الاعلام المكانية والموضعية التي ترد في أشعار العرب وأخبارهم ، فقد زخر بها الشعر الجاهلي والاسلامي وبعض الشعر الاموي ، ولعل ذلك راجع الى ما تقتضيه الحياة العربية الصحراوية التي لا تعرف الى الاستقرار سبيلا ، فقد كان العرب يظعنون متنقلين من موضع الى آخر لا يضعون عصا الترحال الا حيث يستقر بهم المقام حينا من الزمن من موضع معشوشب ثرّ الماء فاذا ما أحسوا بالقحط والجفاف شدوا رحالهم ، واستقلوا ابلهم ميممين شطر موضع آخر يجدون فيه بغيتهم .

وهكذا كثرت الأماكن والمواضع التي كانوا يحلون بها ، وكثيراً ما كانوا يميزونها بأسماء تعرف بها . كسقط اللّوى ، والدّخول وحومل ، وتُوضِح والمِقراة ، وهي من منازل بني كلاب ، وكالدّرّاج ، والمُتَثلم موضعان بالعالية وغير ذلك من اسماء المواضع والبقاع التي يتردد ذكرها في أشعارهم ،

والتي ليس لنا غناء عن معرفتها إذا أردنا تفهُّمَ الشعر الجاهلي على وجه الخصوص إذ لا تكاد تخلو من اسماء هذه المواضع والبقاع قصيدة من قصائده « ومن ذا الذي يستغني من أولي البصائر عن معرفة الأماكن وتصحيحها، وضبط أصقاعها وتنقيحها، والناس في الافتقار الى علمها سواسية، وسر دورانها على الألسن والمحافل علانية »[1] وليس من الصعب أن نصل الى معرفة هذه المواضع والأماكن بعد أن قام بعض اللغويين العرب منذ القرن الثاني بجمعها في كتب مؤلفات ذات اختصاصات مختلفة، منها ما يختص بميـــاه العرب ومناهلهم، ومنها ما يختص بمنازل العرب وقبائلها، ومنها ما يختص بالجبال والحرار والأودية والدارات، ومنها ما يتحدث عن بلاد العرب بصفة عامة، وقد كانت هذه المؤلفات والكتب مصدراً أساسياً لمعجمين عظيمين؛ همـــا « معجم مـــا استعجم من اسماء الأماكن والبقاع » للبكري، و « معجم البلدان » لياقوت الحموي، فقد استوعب هذان العَلَمَان جُلَّ ما وقع تحت أيديهما من نفائس تلك الكتب والرسائل، فضمنا بذلك أكبر عدد ممكن من اسماء الأماكن والبقاع الواردة في الشعر العربي والحديث النّبوي وغيرهما، ولم يقتصرا على ذلك بل تطرقا إلى المدن الكبيرة والبلدان والعواصم.

ولقد كان من بين الأماكن التي وطئتها أقدام العرب ووردت في شعرهم مواضع تتميز بوطاءة أرضها واتساعها، واستدارة رمالها واحاطة الجبال بهـا أطلقت عليها العرب اسم الدارات فحق لها من الاهتمام بها والقيام بجمعها مـا لغيرها من المواضع والبقاع، فأفرد لهـا بعض اللغويين كتباً خاصة بها جمعوا فيها ما أمكنهم جمعه من اسمائها مستشهدين بما ورد فيها من الشعر كما أفرد لها كل من البكري والحموي في كتابيهما صفحات عديدة تحدثا فيها عنها، ونحن هنا نحاول تتبع هذه الدارات في تراث العرب الجغرافي اللغوي لنتبين تعريفها وعددها، وما أهمية دراستها، ومن أفرد لها بالتأليف أو تحدث عنها، ونريد بقولنـا من تراث العرب الجغرافي اللغوي ذلـــك الاتجاه اللغوي للتأليف في المواضع والبلدان، والذي أخذ في الظهور منذ القرن الثاني الهجري، وقام به بعض

---

(١) مقدمة معجم البلدان (١ / ٨).

اللغويين العرب ثم اخذ يتدرج إلى أن وصل إلى القمة عند البكري في القرن الخامس وعند ياقوت الحموي في القرن السابع بكتابيهما المعروفين وقبل أن نشرع في الحديث عن الدارات يحسن بنا ان نذكر شيئاً عن أهمية دراستها ، فكأني بسائل يسأل : مـا هي أهمية هذه الدارات وقيمتها حتى ندرسها ونلم بمعرفتها ؟ ولعل الإجابة واضحة . فما لا ريب فيه ان الدارس للأدب الجاهلي بصفة خاصة يواجه الكثير من اسماء الأماكن والبقاع التي يحفل بهـا الشعر الجاهلي سواء أكانت جبالاً أم حِراراً أم مناهل ومياهاً أم بـلاداً ومدناً أم غير ذلك ، فلا بد لكي يفهم هذا الشعر من الالمام بمعرفة ما يرد فيه من اعلام المواضع ذلك لأنها تمثل البيئة الجاهلية ، والشعر دعامة للأدب وثيق الصلة ببيئته ، عنها ينبع ومنها ينبثق .

ولا جرم ان الدارات تشكل جزءاً من البيئة العربية الجاهلية جرت للعربي فيها أحداث وذكريات عبر عنها في أبيات من الشعر ، وانطلاقاً من هذا المفهوم نرى ان أهمية دراسة الدارات ترجع الى ثلاث قيم : ــ

١ ــ القيمة الأدبية :

عرفنا فيما سبق ان الشعر الجاهلي حافل بالكثير من اسماء المواضع والبقاع ، وان هذه المواضع والبقاع تمثل البيئة العربية التي انبثق عنها ذلك الشعر الجاهلي الذي يتوقف فهمه الى حد كبير على معرفة ما اتصل بـه من الأعلام الموضعية والمكانية ، وإذا عرفنا هذا يسهل القول : بأن القيمـة الأدبية تأتي من حيث انها تشكل جزءاً من البيئة العربية الـتي لا يمكن ان نفهم ما انبثق عنها من شعر قبل أن ندرسها ونتعرف عليها ، وقد كان للدارات نصيب لا بأس به من ذلك الشعر .

٢ ــ القيمة الجغرافية :

وتتضح القيمة الجغرافية للدارات اذا علمنا انها كانت تشغل أجزاء متفرقة من بلاد العرب حلوا في رحابها وأقاموا فيها ، فكان لهم منها ما هو مـاء للضباب وبني جعفر ، وما هو جبل في ديار بني أسد ، ومنها ما هو منمنازل

همدان باليمن ، ومنها ما فيه نخيل لبني مرة بن عوف ، فلا غناء اذن لدارس الجزيرة العربية في غابر عصورها عن الالمام بمعرفة هذه الدارات لتكون دراساته شاملة ودقيقة .

٣ – القيمة التاريخية :

أما القيمة التاريخية للدارات فلأن منها ما كان مسرحاً لأحداث تاريخية جرت لبعض العرب ، كما هو الحال في دارة مأسل التي كانت ميدانا لوقائع يوم من أيام العرب ، بين بني ضبة وبني كلاب يدعى بيوم مأسل ، وقد أشار الى احداث هذا اليوم البكري في معجمه [١] عند حديثه عن دارة مأسل ، وابن عبد ربه الاندلسي في « العقد الفريد » [٢] .

والى جانب هذه الحادثة نجد حادثة أخرى ومن نوع آخر جرت على أرض دارة جُلجُل ، تلك هي قصة الشاعر الجاهلي امرىء القيس مع معشوقته ابنة عمه عنيزة بنت شرحبيل وبعض نساء الحي ، وقد أشار اليها في معلقته بقوله :

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح ولاسيما يوم بدارة جُلجُل
ويوم عقرتُ للعذارى مطيتي فيا عجباً من كورها المتحمَّل
فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهُدّاب الدمقس المفتّل
ويوم دخلت الخدر خدر عُنيزة فقالت: لك الويلات إنك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها : سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المُعلل

على ان هذه القصة قد رويت منثورة في بعض كتب الأدب [٣] بصورة أخرى زاد فيها الرواة زيادة لا نجدها في معلقة امرىء القيس ، مما يجعلنا نشك في صحة ما زادوا فيها ، ومن قبل شك الدكتور بدوي طبانة [٤] في صحة القصة المروية بكاملها ، غير اننا لا نطمئن الى المبررات التي اعتمد اليها في تأكيد رأيه اذ لم تكن دقيقة ولا شافية بحيث تكفي لاثبات عدم صحة

(١) انظر معجم ما استعجم (٢/٥٣٧)
(٢) (٣/٣٣٠)
(٣) انظر الاغاني (٢٧ / ١٩) وشرح المعلقات للزوزني ص : ٥
(٤) انظر كتابه «معلقات العرب» ص : ٨٥

القصة ، وكيف يسوغ له ان يطلق عليها حكما عاما بعدم صحتها كليّة متناسياً ما ورد منها في معلقة امرىء القيس؟! فمقتضى حكمه هذا ان الشك يتطرق ايضاً لما جاء من القصة في المعلقة نفسها ما دام ان القصة بكاملها ليست ثابتة وليس هذا صحيحاً بل كان من حقه ليكون حكمه دقيقاً أن يتوجه بالشك الى مـــا فيها من زيادة لم ترد في المعلقة ، وقد اعتبر بعض الباحثين ان قصة دارة جلجل كانت سبباً في نظم امرىء القيس لمعلقته ، وليس لهذا الاعتبار ما يؤيده مما جعل الدكتور بدوي طبانة [1] يرفض ان تكون هذه القصة سبباً لنظم المعلقة حيث يرى ان القصة لا تشغل سوى تسعة أبيات من ستة وثمانين بيتاً في رواية صاحب « جمهرة اشعار العرب » ، وستة ابيـــات من واحد وثمانين بيتاً في رواية الزوزني ، فلو كانت هـذه القصة هي الغرض الرئيسي من نظمها لشغلت معالجته اكثر ابياتها » .

وعلى أي حال فان القدر الثابت الذي لا يتطرق اليه الشك من قصة دارة جلجل هو ما أشار اليه امرؤ القيس في معلقته ، واذا انتهينـا الى هذا الحد أدركنا ان لبعض الدارات قيمة تاريخية فلا أحسب ان الدارس لتاريخ أيام العرب يغفل مثل حادثة دارة مأسل أو ان الدارس لحياة امرىء القيس وشعره يغفل حادثة دارة جُلجُل لماهاتين الحادثتين من صلة وثيقة بايام العرب وأدبها.

وهكذا تتظافر هذه القيم الثلاث مجتمعة فتكسب الدارات أهمية لدراستها لتتم لنا ملامح صورة كاملة لأدب بلاد العرب وتاريخها وجغرافيتها في عصورها الأولى ، وعلى العموم فان الاعلام الموضعية والمكانية التي ترد كثيراً في أشعار الجاهليين بصفه خاصة ، يتوقف على معرفتهـا فهم الكثير من جوانب بلاد العرب في أقدم عصورها ، وقد أكد مـدى هذه الأهمية المستشرق الروسي (كراتشكوفسكي) في كتـــابه « تاريخ الأدب الجغرافي » بقوله : أثبتت الأبحاث ان المادة المكانية للشعر الجاهلي يمكن أن تسوق الى نتائج طيبـة لو اخضعت لدراسة دقيقة ، ويذكر (فستنفلد) وهو من الملمين بجغرافية بـلاد العرب ذلك في كتابه « البحرين واليمامة » : (ان وجود الاعلام الجغرافيـة عند الشعراء تمثل بالنسبة لأبحاثنا مادة لا تقدر بثمن) .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٨٤ – ٨٥

٢ – **تعريف الدارات وبيان عددها :**

الدارات جمع دارة ، وقد ورد للدارة تعريفات كثيرة في كتب اللغة ومعاجم البلدان ، نعرض بعضها محاولين ان نوازن بينها ، لنستخلص منها تعريفاً نستقر عليه ، جاء عن الأصمعي من مقدمة كتاب الدارات الذي ينسب اليه : (ان الدارة ما اتسع من الأرض وأحاطت به الجبال ، غلُظ أو سهُل يقال دار ودارة وأدؤر ودارات [١]) وجاء في « معجم البلدان » لياقوت : الدارة في أصل الكلام كل جوبة بين جبال في حزن كان ذلك أو في سهل قال أبو منصور حكاية عن الأصمعي : الدارة رمل مستدير في وسط فجوة وهي الدورة ، وتجمع الدارة دارات [٢] ، أما البكري فينقل لنا في « معجم ما استعجم [٣] » تعريفاً للأصمعي عن طريق تلميذه أبي حاتم فيقول : قال أبو حاتم عن الاصمعي الدارة جُوْبَةٌ تحفُّها الجبال والجمع دارات .

ثم ينتقل الى تعرف آخر للاصمعي نفسه وهو قوله : الدارة رمل مستدير قدر ميلين تحفه الجبال . وقال جعفر بن سليمان : إذا رأيت داراتِ الحِمى ذكرت الجنة ، رمال كافورية .

ومما سبق نلاحظ أن النصوص الواردة في تعريف الدارة متقاربة الدلالة وان اختلفت العبارات ، كما نلاحظ أن معظمها محكيّ عن الأصمعي ، فبينما نجد ياقوتاً ينقل لنا تعريف الأصمعي عن طريق أبي منصور ، وهو الازهري بان الدارة رمل مستدير في وسطه فجوة ؛ نرى البكري يذكر تعريفاً آخر بطريق ابي حاتم بان الدارة رمل مستدير قدر ميلين ، فلم يزد البكري بذلك على ما نقل ياقوت عن الأصمعي ، إلا أن الرمل قدر ميلين ، وأنه تحفة الجبال ، تحفه الجبال على ان ياقوتاً قد ذكر في مستهل كلامه عن الدارات تعريفاً قريباً مما جاء في كتاب الدارات المنسوب للاصمعي ومما نقله البكري في معجمه عن الاصمعي ونستطيع الآن ان نستخلص تعريفاً للدارات تستقر عليه ، فالدارات إذن جمع دارة ، والدارة أرض واسعة على شكل جوبة ذات رمال ، مستديرة تحيط بها الجبال في حزن كان ذلك أو سهل . (للبحث صلة)

الرياض — عبدالله عبد الرحيم عسيلان

---

(١) الدارات . (٢) (٢/٤٢٤) . (٣) (٢/٥٣٣) .

الطائف

[فصل من كتاب : « الطائف » جغرافيته – تاريخه – انساب قبائله]

الطائف مدينة جاهلية قديمة ، تنسب الى وج بن عبد الحي من العماليق ، وسميت باسمه (وج) ونسب اليها واديها فقيل : وادي وج ، إلى أن بنت ثقيف حولها سورا يمنعها من غارات المغيرين يطوف بها ، ومن ذلك الحين سميت الطائف . فقال أبو طالب :

منعنا ارضنـــا من كل حي   كما امتنعت بطائفها ثقيف
أتاهم معشر كي يسلبوهم   فحالت دون ذلكم السيوف

كانت في العصر الجاهلي قريتان فقط ، احداهما تدعى طائف ثقيف وهو مما يلي الطائف ، والأخرى على الجانب الآخر ناحية الوهط ، والوادي يمر بين القريتين . وبالرغم من جودة محاصيل الطائف الزراعية وجودة فاكهتها وكثرة أعنابها وتفوق أهلها في عمل الدباغ وصناعة المنجنيق وتعاطيهم كل أسباب التجارة ، إلا ان الطائف اذ ذاك كان على حالة سيئة : بيوتها لاطئة حرجة ، وبقايا مياه الوادي تجري عليه ميـــاه المدابغ التي يدبغ فيها الادم تصرع الطيور رائحتها إذا مرت بها .

قال ياقوت [١] : وهي طيبة الهواء شمالية ربما جمد فيها الماء في الشتاء ، وفواكه اهل مكة منها .

والجبل الذي هي عليه يقال له : غزوان ، وكان معاوية يقول : اغبط الناس عيشا عبدي أو قال مولاي سعد . وكان يلي أمواله بالحجاز ويتربع

(١) معجم البلدان ج٤ : ٩ – ١٢ .

جدة ، ويتقيظ الطائف ويشتو بمكة . كذلك وصف محمد بن عبدالله النميري زينب بنت يوسف أخت الحجاج بالنعمة والرفاهية قال :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

ولما تشرف اهله بالاسلام انضموا الى الوية المجاهدين والفاتحين ، وبقى الطائف راكداً في عمرانه وتطوره اللهم الا قبائل من قريش وثقيف كانت في مزارعها تحرث وتعمر وتصدر بعض الفاكهة الى مكة ، ويعتقد كثير من اهل العلم بالطائف الذين أدركناهم أن موقع الطائف القديم ومكان حصنه الذي بنته ثقيف وحاصرهم النبي (ص) فيه، هو من الناحية الجنوبية عن جامع ابن العباس بينه وبين الجامع مسيل وادي وج ، أي أعلى أرض أم نوبي بساتين حوايا وارض المشايخ المسماة (زعيدة) بين شهار وعودة ، وهذا من قبيل الترجيح بالظن ، وربما كانت حجتهم هو ما جاء في تاريخ القاري [1] عند الكلام على مجيئه ﷺ الى الطائف المرة الثانية بعد الفتح في شوال سنة ٨ ﻫ ، حين خرج من حنين فسلك على نخله اليانية ثم على قرن ثم بحرة الرغاء من لية ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه ، ثم من لية على نخب ، حتى مر في طريق فسأل عن اسمها ؟ فقيل : (الضيقة) فقال : بل هي اليسرى ، ثم خرج منها حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة ، ثم مضى حتى انتهى إلى قرب حصن الطائف ، ووقف بـه ، وأمر بشهر الأسلحة ، وسمي ذلك الموقع شهاراً لاشتهار الأسلحة ، وشرب من بئره) الخ .

والذي أعتقده وأرجحه أن الطائف القديم يشمل جميع هذا الطائف الحديث ، وكان لثقيف ومن حالفهم من قريش وغيرهم كان لهم به مزارع متفرقة على جانبي الوادي هنا وهناك ، وهذا ما لا خلاف فيه ، أما مكان

---

(١) راجع ترجمته والكلام على تاريخه في مجلة العرب جـ٢ السنة٢ ص ١١١ — ١١٢

حصنه الذي بنته ثقيف وحاصرهم الرسول ﷺ فيه ، وقرية سكناهم حين الحصار ، فهو في نظري يشمل : هضبـــة باب الريع ـ جبل ابن منديل ـ هضبة القلعة ـ وبعض ما كان يسمى قديماً بقرية الهضبة ، وبها اليوم مسجد الهادي وما يجاوره ، هذا هو في نظري أهم أجزاء هـــذه القرية والحصن وحصار النبي ﷺ كان من الناحية الشمالية ثم ارتفع إلى موضع مسجده اليوم أي من الناحية الشرقية . وذلك للأمور الآتية :

أولاً : ان ثقيفاً قد بنت حصنها لتأمن غارات المغيرين وهجمات المعتدين ، ولتدافع عن نفسها وتحتمي به ، وما كانت لتختار إلا موقعاً مرتفعاً مشرفاً على مـــا حوله ، لتتمكن من صد أي غارة أو هجوم عليها ، ومنطقة باب الريع شرقيّ محلة السلامة ، هو الموقع الذي تتوفر فيه هذه الخصائص ولا بد أنهم حفروا بداخل الحصن بئراً في سفح الجبل أو على الأراضي القريبة تمدهم بالماء وقت الحاجة .

ثانياً : ويؤيد ذلك ما جاء في كتب السيرة [1] أن النبي (ص) كان نازلا حين حصار الطائف بوادي العقيق ولو كان الحصن على أرض أم نوبي وحوايا وقرية المشايخ وما جاورها ، لما وصلت سهام النبل من العقيق إلى الحصن ومن الحصن إلى العقيق ، ويحتمل أن يكون الحصن شمال القرية أي ان الحصن على جبل القلعة والقرية على جبل ابن منديل لأنه لما أصيب ناس من المسلمين بجراح وقتل بعضهم، ارتفع إلى موضع مسجده الذي بالطائف اليوم ، والحصن أكثر بعداً عن الجامع من القرية وهذا نص ما جاء في كتاب السيرة: (حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من الصحابة تحت دبابة ثم زحفوا إلى جدار الطائف ليخارقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا فيهم رجالاً فأمر رسول الله (ص) بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون ، فتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفا أن أمنونا حتى نكلمكم ،

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ : ١٢٨ ، ١١٩ .

فأمنوهما فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن اليهما وهما يخافان عليهن السباء فأبين ، فقال لهما ابن الأسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله (ص) بينه وبين الطائف نازلاً بواد يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مالٌ أبعد رشاءاً وأشد مؤونة ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود ، وان محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرّحم ، فإن بيننا وبينه ما لا يجهل ، فزعموا أن رسول الله (ص) تركه لهم .

فأنت ترى في هذا القول أن الرسول (ص) كان يحاصر ثقيفا وهو بالعقيق أو قرب العقيق ، ولا شك أن بينه وبين الحصن نحواً من مسافة رمي النبل ، وربما كان محل مزارع بني الأسود هي في محل مزارع العقيق الآن .

ثالثاً : ومما يؤيد أن موقع حصن ثقيف وقريتهم هو ما ذكرنا ما قاله الهمداني [1] (وفي قبلة الطائف حائط أم المقتدر الذي يدعى سلامة) ومعروف أن محلة السلامة التي سميت باسم الحائط تقع في قبلة باب الريع تماما.

رابعاً : وربما تطورت هذه القرية وزيد فيها بعد الاسلام الا أن أصلها على رأس الجبل الذي ذكرنا ، فهذا ناصر خسرو [2] يقول لنا في القرن الخامس الهجري (... بلغنا الطائف يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٤٢ هـ ، والطائف ناحية على رأس جبل وقصبة الطائف مدينة صغيرة بها حصن محكم ، وسوق وجامع صغيران ، وبها ماء جار ، وأشجار رمان وتين كثيرة ، وبجوارها قبر عبدالله بن عباس ، فقد بنى خلفاء بغداد هناك مسجداً كبيراً يقع القبر في زاويته ، على يمين المحراب والمنبر ، وبنى الناس هناك بيوتاً يسكنونها) فاذا تأملت قوله : إن الطائف ناحية على رأس جبل به سوق

---

(١) صفة جزيرة العرب ص : ١٢١ .

(٢) رحلة ناصر خسرو ترجمة وتعليق يحيى الخشاب . ولد ناصر خسرو في قبادیان سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م وتثقف ثقافة واسعة والتحق بخدمة السلاطين الغزنويين محمود ثم ابنه مسعود .

وجامع صفيران جوار قبر عبدالله بن عباس لم يخالجك شك أن موقع الطائف القديم ومكان حصنه في الموضع الذي ذكرنا .

خامساً : أما ما جاء في تاريخ القارىء أن شهاراً سمّي بشهار لأنه ﷺ أمر بشهر الأسلحة فيه ، وانه شرب من بئره فهذا لم أر أحداً ذكره من المؤرخين غير القارىء وهو متأخر .

نعم ان القول بان الطائف القديم بساتين أم نوبي وما جاورها يتناقله الناس ولعل تناقلهم له من تاريخ القارىء .

وفي العصر الاموي كان الطائف في كثير من الاحيان مرتبطا بولاية مكة وكان الوالي على مكة من قبل الخليفة هو الوالي على الطائف وطرأ على مزارعه تحسينـــات عمرانية زادت في محصول انتاجه ، وبالرغم من نزوح كثير من السكان في الفتح الاسلامي ولاسيما بعد انتقال مركز الخلافة من الحجاز ، فقد اقيم في هذا العصر بعض السدود وقد سار الاسلاميون[1] على نهج المهندسين الجاهليين في بناء بعض السدود وهي قليلة جدا بالقياس الى السدود التي بناها العرب قبل الاسلام ومن جملة السدود الاسلامية :

١ – سد اقيم في موضع يبعد عن الطائف زهاء ستة أميال يقال له (سد العيـاد) كتب عليه بالخط الكوفي المحفور على الحجر : (هذا سد عبدالله بن معاوية امير المؤمنين بناه عبدالله ابراهيم) . وكان ذلك في سنة (٥٨) للهجرة وقد أقيم بالحجارة وحدها فلم يضع مهندسه ، عبدالله ابراهيم ، مادة ما من مواد البناء مثل الملاط أو الطين وما شابه ذلك بين الحجارة لتثبيتها وضمّ بعضها الى بعض حتى تتماسك فتكون كانها قطعة واحدة . وهـــي طريقة معروفة في اليمن واستعملها المهندسون الجـــاهليون كما يظهر ذلك من فحص الخرائب العتيقة الباقية من الابنية والسدود الجاهلية ولا يزال هذا السد في حالة ممتازة يتحدث عن نفسه وعن عبقرية المهندس الذي أقامه في ذلك الزمن

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ : ٣٨٤ .

وقد شاهد (تويتشل) الذي كلفته الحكومة العربية السعودية دراسة السدود القديمة وأماكن المياه ، كما شاهد غيره هذا السد وجملة سدود جاهلية اخرى ووصفوها فذكروا في تقاريرهم عن مشاريع المستقبل في الاستفادة من بعض تلك السدود بعد اجراء بعض الاصلاحات والترميمات فيها ، وأشاد بمقدرة من شيّدها وأقامها وبقابلياته الهندسية ، ونبوغه الفني في اقامة تلك السدود بالرغم من ضعف القدرة الفنية وبدائية الاساليب التي استعملت في ذلك الزمن [1] .

وفي هذا العصر كانت قرى الحكرة والعرج والوهط وجفن ونخب ولقيم وغيرها آهلة بسكانها ، مكتفية بمحصولها الضخم من الحبوب والفواكه والسمن والعسل ، لاسيما قرية الوهط التي اشتهرت بكثرة اعنابها التي فاقت حدالوصف وفي العصر العباسي كثر سكان الطائف عما كان عليه وحصل بالتالي تطور وتقدم في العمران وحصلت عمارة المسجد العباسي واول ما بنى هذا المسجد في أيام الناصر لدين الله العباسي كما في تاريخ المرجاني والتقي الفاسي [2] الا ان محاصيله الزراعية أخذت تضعف وتقل حتى ان قرية الوهط التي كانت تمون الطائف ومكة بالفاكهة ، وبها بساتين لرؤساء مكة والطائف غنية بالكروم، تدهورت حتى لم يبق منها من أشجارها في القرن السابع للهجرة الا شجرة توت [3] .

وفي القرن السادس الهجري عمرت قرية بوادي وج دعيت بقرية « وج » ذكرها صاحب القاموس ، وربما كانت هذه القرية قديمة جدا ، ثم دمرت بعد عمارتها الاولى ثم جددت [4] وتشمل هذه القرية مزارع وبساتين المثناة الشهيرة الناضرة وبساتين السلم وام نوبي وأبو زبيدة وما حولها .

---

(١) تويتشل : المملكة العربية السعودية ص ٥٠

(٢) عقود اللطائف للفاكهي – خ –

(٣) ابن المجاور ١ : ٢١ وما بعدها

(٤) اهداء اللطائف – خ –

وفي حدود القرن التاسع الهجري ازدهرت قرية السلامة وكثر سكانها واقيمت بها العمارات البارعة في نسق جميل وكان لكل دار بستان او اكثر وبها عين ماء جارية ، قال العجيمي [١] : (لا ادري متى كان ابتداء عمارتها وكان ينزل بها أعيان مكة وفضلاؤها بل غالب اهلها ثم خربت في حدود ١٠٨٠ هـ وتحول أهلها ولم يبق منهم الا القليل ، وانتقل أكثر سكانها الى قرية الهضبة وذلك بسبب الحروب والغزو السائد في ذلك ، قال العجيمي : وكثر عمران قرية الهضبة منذ خربت السلامة وابتداء عمارتها بعد الالف .

قال الأستاذ الشاعر البحاثة الشيخ أحمد الغزاوي [٢] : (وقد ظفرت بنص تاريخي يستخلص منه أنها كانت معمورة قبل القرن السابع أو الثامن الهجريين : وذلك أن ابن فهد أرّخ لقاضي الطائف عبد الله بن محمد ابن عيسى بن محمد بن عبد الله الطائفي فقال : أجاز له في سنة ٧٩٤ هـ فما بعدها التنوخي والبرهان علي بن فرحون وابن صديق وسليمان السقا وعبد القادر الحجّار ومحمد بن علي بن محمد البالي ومريم الأذرعية وجماعة .. مات في رجب سنة ٨٤٦ هـ سنة ست وأربعين وثمانمائة بالسلامة من قرى الطائف .

وبهذا نعلم أن السلامة أقدم وجوداً من هذا المترجم بهذا الاسم .. إلى أن قال :(وأرجو من القارىء الكريم أن يرعى باله إلى هذه المرأة أو (الريم) الأذرعية التي كانت من العلم بحيث تجيز القضاة في عصرها .) وفي أوائل الألف للهجرة بدأت قرية الآبار تعمر حتى لم يمض عليها زمن يسير حتى امتلأت بالفضلاء وسميت بالآبار لكثرة الآبار بها وهي اليوم محلة (قروى) ولا أعلم كيف نشأ أو تحرف هذا الاسم عن الآبار ؟ .

وكان بقروى بئر كثيرة العذوبة خفيفة الماء تدعى « بئر عجلان » ثم لما كثرت البيوت بجانبها منذ عام ١٣٦٠ هـ أخذت تلك البئر العذبة تملح وتغير ماؤها .

---

(١) اهداء اللطائف ـخ ـ

(٢) البلاد السعودية العدد ٢٠٥٥ ص ٦ / ٦ / ١٣٧٥ هـ بعنوان « مطالعات وتعليقات »

وكانت عين السلامة هي العين التي يستقي منها أهل الطائف حتى غيّر مجراها الشريف عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون المتوفى سنة ١٢٩٤ هـ لما عمّر بلاده شبرا غيّر مجرى بلاد السلامة إلى بلاده شبرا . وجعل لسكان قرية الهضبة منهلين يستقون منها وكان ذلك في حدود ١٢٨٠ هـ والقائم على بناء هذا المجرى المعلم محمد بن عتيق السالمي فأجرى دبل العين عن طريق خليج الشريف راجح المشوي الجودي الذي كانت مزارعه تشمل ما يسمى بركيب الحبسي (محلها الآن محلة الشرقية) وفي القرن الحادي عشر الهجري جددت عمارة المسجد العباسي وزيد في أروقته مما يدل على زيادة سكانه وفصل بينها وبين القبور التي في مؤخر المسجد بجدار . وأحدث به الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان صاحب مكة قبور جماعة منهم أم ولده ، ثم كثرت هذه القبور حتى امتلأ نصف صحن المسجد بها ، ولولا نهي الشريف زيد بن محسن في القرن الحادي عشر عن الدفن فيه لاستؤصل وصار جميعه مقبرة ، قال الدهلوي : ولا قبر في زماننا في صحن المسجد ، قال ابن فهد : وليس في هـذا المسجد جمعة ولا جماعة والظاهر أنهما كانا فيه قديماً لوجود المنبر به .

وفي القرن الثاني عشر زاد عمران قرية الهضبة ، وزاد سكانها ، وكثرت هجرة الأفغان والأكراد إلى الطائف ثم هجرة الهنود ، واتصلت بعض قراه ببعضها وصارت تدعى محلـّة بدل قرية ، لأنه لا يفصل بينها شيء ما مثل محلتي السلامة وقروى ، ونتيجة لهذا العمران تميزت ثلاث حارات آنذاك :

(١) حارة فوق . (٢) حارة أسفـل . (٣) حارة السليمانية . هكذا كانت تدعى ثم استبدلت بلفظة محلة .

كما طوّق هذه الحارات الثلاث سور دائري مبني باللبن محفور تحته خندق محفوف به من ناحية خارج المدينة ، جدد بناءه والي مصر آنذاك محمد علي باشا ، وكان له ثلاثة أبواب : باب الحزم – باب الريع – باب ابن العباس وبالقرب من باب ابن عباس حمام صغير تسبب في بنائه محتسب الطائف (أحمد

خيره) لايزال بحالته السابقة حتى الآن يؤمه بعض الناس . وكان بالطائف في هذا العصر ستة مساجد عدا المسجد العباسي ، منها : مسجد الهادي اليمني الذي انشيء في حدود الخمسين بعد الألف . ومسجد باعنتر الذي انشأه نزيل الصانع في حدود سنة ١٠٢٠هـ وأعان الشيخ أحمد باعنتر الحضرمي على الصلوات فيه ومدارسة القرآن . ومسجد باب الريع المشرف على السلامة المعروف بمسجد السنوسي لكونه بين بيوته . ومسجد الهنود بالسوق بين جامعي الهادي وابن عباس ونسب إلى الهنود لاجتماعهم به سابقاً ومسجد ابن عقيل بناه العالم الفاضل السيد عمر بن عقيل بن عمر العلوي المكي ، ومسجد الوزير منسوب إلى وزير أمير مكة الشريف سرور عمره الوزير ريحان سنة ١٠٨٩ هـ .

وكانت حدود الطائف ما بين الهدة غرباً إلى بلاد غامد وزهران وبني مالك شرقاً ، وإلى ركبة شمالاً ، حتى الفرع وبلاد بني سفيان جنوباً ، وربما امتدت إلى التهائم . أما اليوم فالمناطق التي تتبع أمارة الطائف من ناحية الغرب إلى الهدة ومن الشرق الى بالحارث ، ومن الشمال الى ركبة ، ومـا جاورها من بلاد القثمة والشيابين ، ومن الجنوب الى بلاد بني سفيان .

يُضاف إلى هذا : المدارس التي تتبع إدارة تعليم الطائف بالغريف ، وتربة ، والخرمة ، ورنية ، ومنذ عام ١٣٦٠ هـ أخذ عمران الطائف يحتل مكاناً بارزاً ويملأ ما بـين قراه ، حتى لا تكاد تسمع أمثال قرية : السلامة ـ قروى ـ العزيزية ـ مِعَشِّي ـ الخالدية ـ العقيق ـ المثناة ـ شبرا ـ الشرقية ـ اليمانيـة ـ أم خبز ـ الريان ـ الشهداء الشمالية ـ الشهداء الجنوبية ـ شهار ـ القمرية ـ إلا على أنها محلات متلاصقة لا تكاد تميز حدود بعضها كما بلغت مساجد الطائف اليوم أكثر من ٢٠٠ مسجد عدا القرى التابعة للطائف ، وأول مدرسة أنشئت في الطائف هي المدرسة الرشدية أنشأتها الدولة العثمانية سنة ١٢٩٥ هـ تقريباً ، ثم بعد

الحرب العالمية الأولى تحولت إلى المدرسة الهاشمية ، وأقصى ما بلغ اليه عدد طلابها هو ٢٠٠ طالب أما اليوم فعدد مدارس منطقة الطائف الابتدائية لعام ١٣٨٨ هـ هو ١٠٤ من المدارس ، وعدد طلابها ٦٩١٩ طالباً والمدارس المتوسطة ١٣ مدرسة وعدد طلابها ٣٥١٩ طالباً والمدارس الثانوية اثنان ثقيف الثانوية ، ودار التوحيد الثانوية ، وعدد طلابها ٧٤٥ طالباً ، هذا عدا معهد المعلمين الثانوي وعدا مركز الدراسات بالطائف .

وفي عام ١٣٤٥ لم يكن بالطائف سوى مستوصف صحي صغير وأول مستشفى بُني بـــه هو مستشفى الملك فيصل ١٣٥٠ هـ ثم جدد وزيد فيه عام ١٣٨٢ هـ حتى بلغ ما هو عليه الآن من السعة والضخامة كما بنى في عام ١٣٦٧ هـ مستشفى الأمير منصور العسكري وفي عام ١٣٨٢ هـ بني مستشفى السل والأمراض العصبية في السداد .

اما عين الطائف التى كان لها منهلان للسقيا ، فقد أصبحت كثيرة المناهل بفضل انشاء خزاناتها المتعددة التي تستوعب كمية كبيرة من الماء والنشاط في هذا العمران وتخطيطه ، لا ينكر مجهود البلدية في هذا السبيل فقد أخذت على عاتقها تنظيم البلد بواسطة الاكفاء من المهندسين للاشراف على نظافته صحياً بواسطة الأطباء . وقد تعمد الى فتح شوارع جديدة بالمنطقة القديمة تربط بين أرجائه وتكون وسيلة الى تجميل منظره وتحسين عمرانه في أنظار المصطافين والسائحين ، وسنتكلم على بساتينه الشهيرة ومنتزهاتهـــا المبهجة في المعجم الخاص بالمواضع والأمكنة .

الطائف :

محمد سعيد حسن كمال

تصحيح

جاء في المقال المنشور في مجلة العرب للسنة الثالثة الجزء التاسع بعض تطبيعات عن (قبيلة عتيبة : أصلها وفروعها) وها نحن نستدركها :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨١٧	٥	لنا فلا بد عن كلمة من	فلا بد لنا من كلمة عن
٨١٨	١٨	الخلصه	الحلصه — بالحاء المهملة —
٨١٨	٢١	ومن حسك	ومن حسيكه
٨١٩	١	الشباء	الشهباء
٨١٨	٢١	الهملة سكنام الحراء	الهملة سكنام الحراء
٨٢١	٢	دخيل	دخيل الله
٨٢١	٦	الثبتة	النفعة
٨٢١	٨	العبله	العيله
٨٢١	١٧	الجلسة	الحلسة — بالحاء المهملة —
٨٢٢	١٢	المطيه	الطفحة
٨٢٣	٣	الضريرات	الصريرات (بالصاد المملة)
٨٢٣	١٣	الذبيانية	الذبانية
٨٢٣	٢٢	في النسبة اليه	والنسبة اليه
٨٢٣	٢٣	الجلسة والنسبةاليه جليسي	الحلسة والنسبة اليه حليسي
٨٢٥	٢١	وتجتمع كلها وثقيف معها	فتجتمع كلها وعتيبة فيها أو بخندف فتجتمع كلها وثقيف معها .
٨٢٧	٢١	قضب معنان	قضب المنان
٧٢٩	٢	بازا	بازلا
٨٢٩	٥	الحدير	الحرير
٨٢٩	٢٢	هبره	وبره

مِنَ اليَمَامَة إلى مَكَّةَ المُكَرَّمَة
وَصْفٌ جُغرَافي للطَّريق

- ٣ -

وحينما نترك وادي (أُثَيْفِيَة) بمسافة قليلة نلاقي واديا صغيرا يعترض الطريق ينصب من الصفراء بمحاذاة (أثيفية) شمالا ويدعى هذا الوادي (بالأَوَاعِر) يجتمع مع (المُسَمَّى) في مصب واحد .. وبعد هذا الوادي بقليل تبدو لنا هضبتان طويلتان متعانقتان هما (القَرَائِن) وبهما سميت القريتان اللتان تقعان تحتها .. وهاتان القريتان هما (غِسْلة) (والوَقْف) ولم يكن للاخيرة منهما ذكر سابق .. اما (غسلة) فتدعى قديما (ذات غِسْل) وهي لبني نمير وكانت قبلا لبني كليب بن يربوع وقيل : انها لبني امرىءالقيس ابن تميم كما ورد في شعر ذي الرمة وقد وردت في شعر الراعي . قال :

واظعان طلبت بذات غسل يزيد رسيمها سرعاً ولينا
أنخن جمالهن بذات غسل سراة اليوم يمهدن الكدونا

وقال الراجز :

بثرمداء شعب من عقلي وذات غسل ما بذات غسل

وهذه البلدة (غسلة) كما تسمى الآن أو ذات غسل كما كانت تسمى هي بلدة الشيخ ابن بليهد صاحب كتاب « صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » المتوفى عام ١٣٧٦ هـ رحمه الله . ونحن هنا نورد عبارته عن بلدته قال :

(وأما غِسل بكسر أوله وسكون ثانيه فهي قرية من قرى الوشم)

وقد أورد ياقوت عليها عبارات كثيرة شيئا اصاب فيه وشيئاً لم يصب فالذي لم يصب فيه قوله : قال ابو عبيد الله السكوني من أراد اليمامة من النباج فمن (أُشيّ) الى ذات غسل فهذا خطأ فلو قال ياقوت رحمه الله : من أراد اليمامة من النباج فمن (أشيقر) الى ذات غسل فقد أصاب لو انه وضع أشيقر مكان اشي . وأما قوله وهي اليوم لنمير فهذا قريب من الصواب لانهم أخذوا الحاج في خلافة المستعين العباسي فبعث اليهم حملة عسكرية يقودها قائد من قواده تركي يقال له (بغا) فما زال يقاتلهم حتى فرق جمعهم وظفر بهم وشريدهم أوى الى شعاف الجبل وبعضهم أوى الى أودية هذه القرية وجبالها لانها منيعة .. ومما يؤيد ما ذهبنا اليه واد من أوديتها التي يسقيها يقال له النميري الى هذا العهد وبه منهل ماء يقال له النميري . وأصح ما ذكره ياقوت قوله: وبها روضة تدعى ذات غسل فكأنه من اهل تلك الناحية فهذه الروضة باقية على اسمها ولكن المتأخرين صغروها في هذا العهد فقالوا لها (رويضة غسلة) وهذه القرية هي قرية المؤلف واحب أن أقول كما قال الاول :

بلاد بها نيطت على تمائمي وأول ارض مَسّ جلدي ترابها

انتهى كلام ابن بليهد :

ويلتقي في هذه القرية واديان هما وادي (العنبري) وبه استدل من استدل على انه كان سابقا لبني العنبر من تميم . والوادي الثاني هو النميري الذي سبق ذكره في كلام ابن بليهد .

وفي هذه القرية يقول بعض الشمراء :

ايا ذات غسل يعلم الله انني لجوّك من بين البلاد صديق
ويا ذات غسل ريح أرضك طيب كمسك لقا بين الصلاء سحيق

وبعد ان نترك القرائن (ذات غسل) و (الوقف) ونجتاز واديها تقابلنا هضبة شقراء منفردة وتقع بلدة (شَقْرَاء) قاعدة الوشم تحتها شمالا عنها وبهذه الهضبة الشقراء سميت بلدة شقراء ..

قال صاحب المعجم : عن ابي عبيد : والشقراء قرية لعدي وإنما سميت الشقراء بأكمـــة فيها .. » وقد ذكرها زياد بن منقذ في قصيدته التي يتشوق فيها الى وطنه (أُشَـيّ) قرية قرب (المَجْمَعَة) وكان قـــد تغرب الى اليمن قال :

متى أمر على الشقراء معتسفـــا ... خل النقا بمروح لحمهـــا زيم
والوشم قد خرجت منه وقابلها ... من الثنايا التي لم أقلها ثرم

وكان لشقراء ماضٍ تجاري مشهور فهي من المـدن الرئيسية في نجد التي اشتهرت بتجارتها وارتياد الناس لها.. ولها ايضاً ماض في الحفاظ على العقيدة والغيرة على المبدأ .. فقد صادمت جيوش (محمد علي) أيام غزوهـا نجداً . يقول شاعرهم الشعبي أيام اشتغال الملك عبد العزيز بتوحيد الجزيرة :

لِيْت الايّام تـَبْدي غـَيْبها ... كان أَبَاشِيْر بالـّلازم واعِيْن
نجد عَذْرا حَضَر خِطـْبْها ... والجـَهاز الفَشَكْ والمَارْتِيْن
عَافت الأجْنَبي مِنْ طِيْبَها ... مَـا تَبي إلا إمَـام المسْلمِين

ويقول الشاعر ابن حُصَيّص مشيراً الى حفاظ أهل شقراء على ديانتهم :

حَالِف مَا اسْلى وَلا انْسَى حِبٍّ سَارِهْ ... كودْ أهل شقرا يخلـّون الصّلاة

واهل شقراء من بني زيد القبيلة المعروفة في نجد يرجع نسبها الى قحطان.

والاودية التي تسيل على شقراء هي (وادي الغَـدير) و (واديالعُشرة) و (وادي الرّيمْة) وكلها تسيل من صفراء الوشم مشرقـــة وتنصب في (شقراء) .

ومن شقراء يأخذ الطريق اتجاه الغرب بعد ان كان مشملاً منذ دخلنا قاع (قرقرى) ويأخذ في الصفراء القائمة غربي منطقة الوشم والتي تصاحبنا يسار الطريق منذ فارقنا (قـَرْقـرى) .. فغربي منطقة الوشم يقع بين هـــذه الصفراء وبين كثيب الحبل فالصفراء غربيه والكثيب شرقيه ، وأودية الوشم كلها تنصب من تلك الصفراء .. وإذا امتطينا ظهرها مغربين وعـدنا ببصرنا

الى ما خلفنا رأينا أحسن ما نرى من منظر طبيعي .. رأينا كثيب الحبل بحمرته الذهبية شاقاً منطقة الوشم ويبدو لنا على بعد من الناحية الشمالية كثيبان عاليان متناوحان يقال لهما رمحان (رمحين) في لهجة اهل تلك الناحية ويبدو لك غربيها بينهما وبين الصفراء : (اُشَيْقِر) (والفَرْعَة) و (اشيقر) بلدة قديمة اسمها قديماً (عكل) باسم اهلها بني عكل وفيها يقول شاعر شعبي يعزى لبني هلال :

وَرَدْنَاكَ يا عِدّ تسمّى (وْشيقر) وَصَدْرنَا حِيَام والشَراب وجِيْد
وَطا زرعْهم مِن طارف المال بَكْسْرَه وعَقَرْها الذي رأيه ما هو بِسَدِيد
إلى كَسَرُونا نتقي بِسَلامِه والى كسرنا'هم اتَّقَوا بِحَدِيد
حَدِيدٍ يَحِدّ الخَيْل في دَارع القَنَا يَعْدّي على فِرسانِنا وَيَزِيد

وقال في معجم البلدان : قال الحفصي : الأشيقر جبل باليمامة وقرية لبني عكل قال مضرس بن ربعي :

تحمل من وادي أشيقر حاضره وألوى بريعان الخيام أعاصره
ولم يبق بالوادي لأسماء منزل وحوراء الا مزمن العهد وداثره
ولم ينقض الوسمي حتى تنكرت معالمه واعتمّ بالنبت حاجره
فلا تهلكن النفس لوماً وحسرة على الشيء سدّاه لغيرك قادره

و (الفَرْعَةُ) بجوار (أشيقر) من الجنوب جل سكانها من النواصر من تميم وفيها يقول احد شعرائها الشعبيين محدداً مكانها :

ياديرتي عَنْها وْشَيْقِر شَمَالي وَعنها الحُوَيْلة والعَرَاقيب من شَرْق
قِبْلِيّها البَتْرا وهَاك السّهالي واخْشُومها الي نَايفَات على البُرق
وَجنُوبها دَوّ وعذي المَفالي تَشْبَعْ رَعَاياها إلى لايح البَرق
وفي وَسْطَها عِدّ قَرَاح زلال يِرْدِنّها الخَفْرَات لبَاسة الزرق

ويبدو لنا ايضاً من خلف (كَثِيب الحَبْل) على بعد (جَبَل اليَمامَة) (طُوَيْق) شامخاً بعرانينه وثناياه وهضابه البيض ممتداً من الشمال الى

الجنوب كأحسن ما يرى الرائي من الجبال منظراً ورواءاً ..

وينحدر الطريق من (صَفْراء الوَشم) مغرباً الى سهل منبسط يقع ما بين هذه الصفراء و (كُثَيْبِ السِّرِ) يقال له (المَروّت) وقد تسمى (المروتة) وهي مشتقة من واقعها (فَالمَرْت) لغة الارض لا نبات بها او قليلة النبات قال ابن هرمة :

كم قد طوين اليك من مروتة ومناقل موصولة بمناقل

وقال كثير :

وقحم سيرنا من قور حسمى مروت الرعي ضاحية الظلال

وهذه الارض كذلكم حزون وقيعان وموامي قليلة النبات .. وهي من بلاد بني كليب، وقيل لباهلة قال في لسان العرب : والمروت بلد لباهلة وعزاه الفرزدق والبعيث الى كليب فقال الفرزدق :

تقول كليب حين متت جلودها واخصب من مرُوتها كل جانب

وقال البعيث :

أأن اخصبت معزى عطية وارتعت تلاعاً من المرُوت أحوى جميمها

وكان (بالمروت) يوم من أيام العرب بين بني قشير وبني يربوع ومن شايعهم من تميم ، وقد هزم فيه بنو قشير وقتل رئيسهم بجير بن سلمة فرثاه يزيد بن ازهر الصعق بقصيدة منها :

أواردة عليّ بنو رياح بفخرهم وقد قتلوا بُجَيْراً

فأجابته امرأة من بني يربوع بقصيدة منها :

أفخرا في الخلاء بغير فخر وعند الحرب خواراً ضجور ؟!

وقال سحيم بن وَثيل :

تركنا بمرُوت السّحامة ثاوياً بجيرا وعض القيد فينا المثلما

ويصف الاعشى المروت فيقول :

ولو أن دون لقائهـا المـ ـروت دافعة شعابـه
لعبرتـه سبحـاً ولـو غمرت مع الطرفاء غابـه

والعجيب ان ابن بليهد - رحمـه الله - ذكر (المروت) في اكثر من موضع في كتابه ويرى انه يعد نفود السر لا قبله وهذه عبارته :

« موضعها -يقصد المروتة- بين كثيب السر وبين عرض ابني شمام جنوبيها الطفيبيس الواقع في أسفل بلدة القويعية وشماليها منهل خف والمعركة التي دارت بين بني قشير وبني تميم عند جبيل (سُوفَة) المعروفة عند جميع أهل نجد ومما يؤيد ما ذهبنا اليه قول جرير :

بنو الخطفى والخيل ايام سوفة جلوا عنكم الظلماء فانشق نورها

والمروت وسوفة تحملان اسميها إلى هذا العهد ويرى - رحمه الله- ان ما نسميه المروتة هو (الجِلْه) أو (الجُلُوه) - أي جمع جِلْه .

والناس الآن يكادون يجمعون على ان (المروت) هو هذا المكان الذي نتحدث عنه لا غيره، وما التقيت بأحد ممن له دراية سواء من أهل المنطقة أو من غيرهم يوافقون ابن بليهد على رأيه .. فما هو يا ترى مصدر هذا الفهم لديه؟ هل غير ما أورده من بيت جرير انه لا يقوم حجة تنقض هذا الاجماع ثم إن المسمى وصفة الأرض - المرت - لا تصدق إلا على ما عليه الاجماع وبيت جرير لا ينهض حجة تغير هـذا الواقـع (فسوفة) قريبة من المروت حينما يتلاشى كثيب السر ويضعف ، والعرب تنعت المكان أو تضيفه الى أقرب علم مشهور حوله ..

وما رآه - رحمه الله - من ان ما بين كثيب (قنيفذة) و (السّرّ) يسمى (الجُلُوه) جمع (جِلْه) لا ينافي ما ذكرنا .. فما بين الكثيبين طويل عريض وليس من اللازم ان يطلق عليه كله اسم واحد ، فالذي تناقلته الرواة واتفق عليه الناقلون ان (المروت) هي ما بين (جَنْب غُرّاب)

(والمَلْحَا) و (البُتْر) شمالاً وما بين مناهل (سَامُودَة) و(البُدَيْعَة)
و (البَعَائِث) وما حاذاها من الأرض قفوف ومرتفعات وحزون تكون
فاصلاً بين (المروت) وبين (الجلة) .

وبالجلة مناهل كثيرة شهيرة حفل الشعر بذكرها فمنها (دَلْقَان)
و (سُدَيْرَة) و (حَلْوَان) و(الطَوْيلَة) و(العُجْرَمي) و (تَبْرَاك)
و (الانْجَل) وجنوبي الأنجل جبيل ليس بالكبير يسمى (المِضْبَاعَة)
معروف لدى الكثير وقد ورد ذكره في الشعر قال أحدهم :

فالجزع بين (ضباعة) فرصافة   فعوارض جو البسابس مقفرا

وفي سديرة يقول أحد بني قشير وهي ماءة لهم :

تساءلني كم ذا كسبت ولم أكد   بنفسي من يوم السديرة أفلت

وفي (تبراك) يقول جرير :

إذا جلست نساء بني نمير   على (تبراك) خبثن الترابا

ويقول ابن مقبل :

جزى الله كعبا بالأباتر نعمة   وحيا بهبود ، جزى الله اسعدا
وحياً على تبراك لم أر مثلهم   رجا قطعت عنه الحبائل مفردا
بكيت بخُصمي شنّة يوم فارقوا   على ظهر عجاج العشيات اجردا

وفيه يقول رزين بن ظالم العجلي ابو كدراء :

أرى الله نجاني وصدقت بعدما   خشيت على (تبراك) ان لا اصدقا
وأعيس إذ كلفته وهو لا غب   سرى طيلسان الليل حتى تمزقا

وقال أحد بني نمير :

أعرفت الدار أم أنكرتها   بين (تبراك) فشسّيْ عبقر

ويقول يحيى بن طالب :

يا ليت شعري والانسان ذو أمل   والعين تذرف أحياناً من الحزن !!

هل اجعلن يدي للخد مرفقة على شعبعب بين الحوض والعطن ؟
أم هل أقول لفتيان على قلص وهم بتبراك : قضوا نومة الوسن ؟

ومن (المروت) يفضي بنا الطريق إلى (كثيب السِّرّ) وهو حبل من الرمل ممتد من الجنوب إلى الشمال ونهايته من الناحية الجنوبية بقرب منهلي (الأنـجَل) و (دَلـقَان) المار ذكرهما ويمتد شمالاً فيجتمع بكثبان القصيم ، فكثيب عُرَيْق المَظْنهُور ، فالدهناء ..

و(السِّرْ) الذي يضاف اليه هذا الكثيب هو إقليم ممتد يقع جنوبي القصيم ويقبل محاذياً لهذا الحبل من الناحية الغربية .. وأقصى قـراه شمالاً (العمّار) و (المُربّع) وجنوباً (خُفّ) و (الخُفَيْفِيّة) أي قريب من يمين طريقنا الذي نسلكه ..

يقول جرير (في السِّرّ) :

استقبل الحي بطن السر أم عسفوا فالقلب فيهم رهين أينما انصرفوا ؟

ويقول ضرار بن الأزور رضي الله عنه :

ونحن منعنا كل خبت وتلعة من الناس إلا من رعاها مجاورا
من السر والسراء والحزن والملا وكن مخنّات لنـــا ومصائرا

وقال امرؤ القيس :

فلما أن علا كنفي أضاخ وهت أعجاز رِيّقِهِ فحارا
فــلم يترك بذات السِّرْ ظبيا ولم يترل بقاعتــه حمــارا

وقال زهير بن أبي سُلمى :

دار الأسمـــاء بالغمرين ماثلة كالوحي ليس بها من أهلها إرم
وقـد أراها حديثاً غير مقوية السِّرْ منها فوادي الحَفْرفالهدم

ومن حبل السر ننحدر على دِكاك فسهل منبسط يمتد من الشمال إلى ماءة (خُفٍّ) ومن الجنوب إلى أسفل وادي (القُوَيْعِيّة) ومن الغرب

(صَفْرَاه السّر) و(التّسْمرِيْر) و (القِرنَـة) وما صاقبها .. ولم يكن بهذا السهل جبال الا جبيلا واحداً في جنوبه يقال له (سوفة) وهو الذي عناه جرير في قوله :

بنو الخطفى والخيل أيام (سوفة) جلوا عنكم الظلماء وانشق نورها

وبهذا السهل منهل (الحَرْمَلِيّة) وقد جرت فيه وقعة كبرى بين قبيلة عتيبة بجذميها الكبيرين – برقـا والروقـة – وبين قبيلتي مطير وقحطان فانهزمت قبيلة عتيبة ذلك اليوم وقد القت بفلذة كبدها وجاءت عن بكرة أبيها ومن قادتها ذلك اليوم محمد بن هندي بن حُمَيْد وهذّال الشيباني وابن حِجْنة والهيظل وابو العَلاَ والدُّهينة وابو رقبة والمَهْري والرباعِين (آل رُبيعان) وآل محيّا ..

ومن رؤساء مطير نايف بن بُصَيّص ومن رؤساء قحطان محمـد بن حشيفان ..

ويقال ان قبيلة عتيبة لم تهزم مجتمعة الا ذلك اليوم ..

وفي يوم (الحرملية) يقول فيحان بن زريبان رئيس الرخمان من مطير من أبيات شعبية يفتخر فيها بموقفه ذلك اليوم :

يا فـَاطِرِي ما ارْخَصْت فيها بالاثْمَانْ
الاّ بيُوم مَـا يُقلِبّ صُوِيْبـهْ
رَدّيْتَهَا لِمْنَجيّ الجِرْد ضِيدَان
مَنَابْ مَن بالضّيْق يَنْسَى صِحِيْبهْ
رَدّيْتَهَا مِنْ رِيْع سُوْفَه عَلى شَـان
تِنْجِيْه وَقْتِ الضّيْق والاّ تْجِيْبهْ
قِلتْ : اسْتَرِح فى كُوْرَها يا بُو سُلْطان
وللنّاس مَع هَاك الثّنَايا حَطِيْبَهْ

صِيبْتْ وغطاهَا مِنَ المِلْح دَخَّان
وَعَجٍّ كِثِير ولاَ نَشُوف الضَّرِيبَه
قَال : إبْتجِح بالنَّصر يا بن زريبَان
والطِّير يبْشر بالعَشا مِن عتَيْبَه
يَا زِين ذَبْحِه والمِلح لَه تِرشان
لابِن مُحَيَّا عِنْد خَشْم الجذيبَه
ثُمَّ ذَبَح عِنْدَك جُوَادِين وَحَصَان
وفَلاّج في الدَّشَّه وراها رمي بَه
هذا عَشَا للضِّبْع والذِّيب سِرْحَان
أيّام (بالمَرُّوت) يَرْفَع قِنيبَه

وفي (الحَرْمِلِيّة) ورد شعر لعنترة باسم (ذات الحَرْمل) قال :

طال الثواء على رسوم المنزل بين اللكيك وبين ذات الحرمل
فوقفت في عرصاتها متحيراً أسل الديار كفعل من لم يذهل
لعبت بها الأنواء بعد أنيسها والرامسات وكل جون مسبل

ومن مناهل هذا السهل التي يتركها الطريق يساره بعد أن يأخذ به قريباً من نصفه مناهل (نَفْجَة) و (مُكَيْنَة) و (الشُّهَيْبِيَّة) متواليات حسب الترتيب أقربها مسافة سبعة أكيال وأبعدها مسافة خمسة وثلاثين كيلاً . وعلى يميننا ونحن نجتاز هذا السهل ماءة (خُفّ) واسمها قديماً (خُفَاف) بالضم فالفتح وهي لبني نمير .. قال الراعي النميري :

رعت من خفاف حيث نقّ عبابه وحل الروايا كل اسحم ماطر

وقال امرؤ القيس :

ثج حتى ضاق عن آذيه عرض خيم فخفاف فيسر

ويقال له ولمنهل عنده (خف والخفيفية) من الأسماء التي تنطلق بصيغة واحدة كقولهم (شقراء واشيقر) و (قَسْرِيَة وقُسَيْرِية) و (عَفِيف وعُفَيْفة)

و (الشُّرَيْف والشَّرَفَة) وقد عمره حديثاً الرباعين (آل ربيعان) من عتيبة واصبح بلاد عامرة ذات زرع ومدر ..

وعندما نجتاز طريق ـ السر ـ القصيم ـ الذي يتشعب من طريقنا هذا بعد ما نجتازه بمسافة قليلة تعترض (صَفْرَاء السِّر) يمين الطريق وصَفْرَاء (الدُمَيْثيّات) يساره ويأتي الطريق بينهما عند مصب التسرير ومصب حمَيَّان واديان احدهما وهو التسرير الآتي منالناحية الشمالية الغربية وحميان الآتي من الناحية الجنوبية الغربية فيقترنان هنالك في مكان يسمى (القِرْنَة) ومن ثم ينحدران مشرقين ثم مشملين .

تأخذ صفراء السر في الامتداد من هذا المكان ذاهبة نحو الشمال جاعلة قرى السر يمينها ويضم شرقيها بعض هـذه القرى حتى تحاذي اقصى قرى السر ـ العمارة والمربع ـ فهنالك يلتقي غربيها بطرف كثيب (الشَّقَيّقة) الكثيب الواقع جنوبي (وادي الرِّمَة) بطرفـه الجنوبي الشرقي . ويمتد شرقي هذه الصفراء إلى محاذاة (عُنَيْزَة) شرقيها شماليها .. وبهذه الصفراء مناهل اهمها : منهل (مُغيبب) تضاف هذه الصفراء اليه احياناً فيقولون : (صفراء مغيبب) وهنالك (الطّوِيْلة) و (الطّوْقي) و (العُمَيْشا) و (الدّمْثِي) . . وخلفها من الغرب حزون متصلة توشحها الرمال يقال لها (التّنْدُوَة) ..

ويسيل من (صفراء السر) شرقاً اودية كثيرة تنصب في رياض تقع بينها وبين (حبل السر) مناهمها روضة تدعى (مُطْربة) اما صفراء (الدميثيات) فهي التي يتركها الطريق يساره قبيل (القرنة) وتتجه جنوبا .

ويمضي بنا الطريق حتى (القرنة) مصب (حُمَيّان) و (التّسْرِيْر) والقرنة لعلها التي يعنينها لبيد في قوله بيوم (القرنتين) وهو لغطفان على بني عامر بن صعصعة :

وغداة قاع القرنتين أتينهم رهوا يلوح خلالهـا التسويمُ
بكتائب رجح تعود كبشها نطح الكباش كأنهن نجـومَ

فدائيون في تاريخنا

- ٧ -

ثابت قطنة

ما أعظم ما لقي العرب بعد الخليفتين أبي بكر وعمر من خلاف فرّق جماعتهم ومن حروب أفنت معظم أبطالهم، وحسبك أن الخليفة الثالث ذا النورين عثمان وأن الخليفة الرابع ابن عم رسول الله وزوج ابنته الطاهرة وأبا الحسن والحسين كرم الله وجهه قد صرع كلاهما بأيدي قوم ظنوا انهم بقتل كل من هذين الخليفتين يتقربون من الله . وهل من بلاء أعظم من أن يقتل الرجل أخاه ، وان يفتك المرء بابن عمه ؟ وان يلتقي علي بن ابي طالب والزبير ابن عمته في معركة الجمل حيث صرع من المسلمين ثلاثون الفا وان يلتحم مسلمو الشام ومسلمو العراق في

فارتث قتلاهم عشية هزمتهم حتى بمنعرج المسيل مقيمُ

وقال في معجم البلدان : قال : القرنتان تثنية قرنة بين البصرة واليمامة في ديار تميم عندها أحد طرفي العارض جبل اليمامة بينه وبين الطرف الآخر مسيرة شهر . قال ابن الكلبي : ثعلبة بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة يعرف بالفاتك وهو الذي قتل داود بن هبولة السليحي وقال :

ونحن الأولى أردت ظبات سيوفنا داود بين القرنتين بحارب
وكذاك إنا لا تزال سيوفنا تنفي العدى وتفيد رعب الراعب
خطرت عليه رماحنا فتركنه لما قصدناه كأمس الذاهب

انتهى ما في المعجم . (للبحث صلة)

الرياض – عبدالله بن محمد بن خميس

- ٧ -

ثابت قطنة

ما أعظم ما لقي العرب بعد الخليفتين أبي بكر وعمر من خلاف فرّق جماعتهم ومن حروب أفنت معظم أبطالهم، وحسبك أن الخليفة الثالث ذا النورين عثمان وأن الخليفة الرابع ابن عم رسول الله وزوج ابنته الطاهرة وأبا الحسن والحسين كرم الله وجهه قد صرع كلاهما بأيدي قوم ظنوا انهم بقتل كل من هذين الخليفتين يتقربون من الله . وهل من بلاء أعظم من أن يقتل الرجل أخاه ، وان يفتك المرء بابن عمه ؟ وان يلتقي علي بن ابي طالب والزبير ابن عمته في معركة الجمل حيث صرع من المسلمين ثلاثون الفا وان يلتحم مسلمو الشام ومسلمو العراق في

فارتث قتلاهم عشية هزمتهم حتى بمنعرج المسيل مقيمُ

وقال في معجم البلدان : قال : القرنتان تثنية قرنة بين البصرة واليمامة في ديار تميم عندها أحد طرفي العارض جبل اليمامة بينه وبين الطرف الآخر مسيرة شهر . قال ابن الكلبي : ثعلبة بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة يعرف بالفاتك وهو الذي قتل داود بن هبولة السليحي وقال :

ونحن الأولى أردت ظبات سيوفنا داود بين القرنتين بحارب
وكذاك إنا لا تزال سيوفنا تنفي العدى وتفيد رعب الراعب
خطرت عليه رماحنا فتركنه لما قصدناه كأمس الذاهب

انتهى ما في المعجم . (للبحث صلة)

الرياض - عبدالله بن محمد بن خميس

صفين فيهلك منهم تسعون الفا ؟ نعم لقد كان هناك ما هو اعظم من هـذا وأشد ذلك هو تفرق المسلمين الى فرق متعددة وأشياع لهذه الفرق متناحرة ظلت كالسوس تنخر في جسم الدولة الاسلامية حتى اسقطتها أخيراً ، ثم انتقال الحكم من الشورى الى الوراثة ومن الخلفاء الراشدين الى عائلة الامويين حيث عادت العصبية الجاهلية تطل برأسها المشؤوم فأخذ العرب يفني بعضهم بعضاً حتى انتقل الحكم من أيديهم وصار لغيرهم من أتراك وديلم ومغول .

إن الامويين في بداية أمرهم وفي عهد الخلفاء أوائلهم ظلوا رافعين علم الجهاد، متصفين بصفات المسلمين الأخيار يصارعون خصومهم في الداخل ويرعون المجاهدين في الثغور فامتد سلطان المسلمين واتسعت رقعة الدولة في أيامهم ووصل العرب الى بلاد وممالك بعيدة ، من الاندلس غرباً حتى الصين شرقاً وظهر في عهد هذه الدولة ابطال كرام كموسى بن نصير وطارق بن زياد وعقبة بن نافع وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم من القادة والسادة الذين عز نظيرهم في تاريخ أعظم الامم الأخرى ولكنهم جميعاً خلا عقبة بن نافع الذي قتل في المعركة قتلوا وهم الفاتحون العظام بايدي بني قومهم أو لقوا الهوان والمذلة التي سببت موتهم في حزن وغم عظيمين .

إن العصبية الجاهلية والقبلية والعنجهية هي التي فعلت كل شر في عهد أوائل الامويين ثم انضم اليها في عهد أواخرهم الترف والفساد فصار الخليفة أسير مغنيتين في قصره حبابة وسلامة (١) أقام عليهما ليله ونهاره صبحه ومساءه فذهب الغزو المقرب للغنى ، وجمد العلم الذي ظل يرتفع على مدينة بعد مدينة ، وفقدت البطولة . ثم ملئت قصور العباسيين بحبابات وسلامات لا حصر لهن ولا عد فتقلصت الدولة وظلت تتقلص حتى لم يبق للخليفة سوى قصره تحكم فيه قهرماناته لا هو .

ان هذا الفدائي الكريم ثابت قطنة عاش في عهد الدولة الأموية واسمه ثابت بن كعب بن جابر العتكي الازدي فقد عينه في حروب الترك فكان

---

(١) مغنيتان كانتا للخليفة يزيد بن عبد الملك .

يضع مكانها قطنة فلقب بذلك اللقب :

كان فارساً شاعراً عاش حياته في خراسان وبلاد الأفغان بين كابل وكشغر وبخارى وسمرقند مرابطا مع اخوانه في صفوف المسلمين ضجيعه في ليله حسامه ورفيقه في نهاره حصانه ، عاش حياته كلها على هذا المنوال ، ثم مات شهيداً في ساحة القتال ، له شعر في كتب الأدب وأخبار في كتب التاريخ والسير وهو في شعره وأخباره مثل لعربي العصر الأموي المضطرب في حياته بين التعصب لقبيلته وبين الإعجاب بالأبطال والمجاهدين من سواها ، بين المهاجاة للشعراء من قرنائه ، وبين الحرص على الدين ومقاومة المخالفين لقواعده . ولكن ثابتاً عاش حياته فدائياً يحرص على الموت ، يطلبه ولا يخشاه ، ويسعى اليه ولا يتوقاه ، واضطر أن يشترك مع بني عصره في تلك الصفات لأنه إنسان يتأثر بما حوله فيقاوم ويصاول ، ويخضع أحياناً ويهادن ، سنة الله التي لن تجد لها تبديلا .

وإليك صوراً لهذه الأمور في حياة ثابت .

١ — ثابت يتعصب لقبيلته :

الازد — قبيلة ثابت — توزن بتميم عدداً وأبطالاً ومن أعظم رجالها المهلب بن أبي صفرة القائد الموفق الشجاع الذي حنكته الحروب حتى صار رجلها غير مدافع ، اعترف له بذلك العدو والصديق ، حارب الخوارج وقد كادوا يثلون عرش امية حتى خضد شوكتهم وفرق جماعتهم وقتل قادتهم وكان من قادة الفتوح في آسيا ، وهو الذي حرص أبناؤه على الوحدة عند موته ، وضرب لهم مثلاً بحزمة العصي تكسر واحدة واحدة ، ويعز كسرها مجتمعة ، وبحرص شديد نفذ إبناؤه وصيته فلم يعرف عنهم مع كثرتهم وشهرتهم ومكانتهم سوى الحب لبعضهم ، وقد احتلوا مناصب عظمى في الجيش والحكم وكان الأمويون يرونهم أكفاء لهم اتخذوهم أصدقاء ، وجلساء . وكان أشهرهم يزيد بن المهلب الذي ورث أباه في ولاية خراسان ثم عزله الحجاج ثم أعاده

سليمان بن عبد الملك إلى خراسان ففتح مدناً عظمى كمدينة جرجان وكسب أموالاً طائلة وكتب إلى سليمان بن عبد الملك – وكان صديقه – يخبره بعدد تلك الأموال فلما مات سليمان وولى الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز طالب يزيد بهذه الأموال فأنكرها يزيد فسجنه عمر وكان يكرهه ويلقبه بالطاغية، وكان يزيد بدوره يلقب عمر بالمرائي، فلما مرض عمر وكانت ولاية العهد بعده ليزيد بن عبد الملك وكان عدو يزيد بن المهلب فر يزيد من سجن عمر وكتب إليه أنه لو لولا خوفه من يزيد لما فر من السجن . وقتل يزيد في معارك مع جيوش يزيد بن عبد الملك كما قتل كل محتلم من بني المهلب فتأثر لهذه النكبة التي أصابت رأس بني الأزد ثابت قطنة فقال يرثي يزيد :

ألا يا هند طال علي ليلي — وعـاد قصيره ليـــلا تماما
كأني حـــين حلقت الثريا — سقيت لعاب أسود أو سماما
أمر عليّ حـلو العيش يوم — مـن الأيام شيبني غلامـــا
مصاب بني أبيك وغبت عنهم — فلم أشهدهم ومضوا كرامـا
فـلا والله لا أنسى يزيداً — ولا القتلى التي قتلت حرامـا
فعلّي أن أبو بأخيك يوماً — يزيداً أو أبوء به هشاما (١)

وقال أيضاً :

أبى طول هذا الليل ان يتصرما — وهاج لك الهم الفؤاد المتيما
أرقت ولم تأرق معي أم خالد — وقد أرقت عيناي حولاً مجرماً
على هالك هد العشيرة فقده — دعته المنايا فاستجاب وسلما
أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهداً — تسليت أن لم يجمع الحي مأتما
وفي غيـَر الأيام يا هند فاعلمي — لطالب وتر نظرة إن تلوما
فعلّي إن ما مالت الريح ميلة — على ابن أبي ذبان (٢) أن يتندما

---

١ – يقصد يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك .
٢ – أبو ذبان كنية عبد الملك بن مروان لأن الذباب كان يدخل فمه وهو نائم فقد كان واسع الفم .

قصاصاً ولا نعدو الذي كان قد أتى إلينا وإن كان ابن مروان أظلما
وإنا لعطافون بالحلم بعدما نرى الجهل من فرط اللئيم تكرما
وإنا لحلالون بالثغـر لا نرى به ساكناً إلا الخميس العرمرما

وأين كان ثابت ؟ ولِمَ لمْ ينصر أقاربه بني المهلب ؟ لأنه حلال بالثغر لا يبرحه ، مجاهد لا يترك الجهاد ولكن قصائده في رثاء يزيد وآل المهلب كثيرة وكاد يلقي حتفه بسببها ولكن جهاده كان شفيعه الذي لا تخفر ذمته . فقد روى أن سعيد بن عبد العزيز الأموي لما جاء والياً على خراسان جلس يعرض الناس فلما دعي بثابت قطنة تقدم وكان تام السلاح جواد الفرس فارساً من الفرسان فسأل عنه ، فقيل له : هذا ثابت قطنة وهو أحد فرسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قيل له : هذا الذي يقول :

إنا لضرّابون في حمس الوغى رأس الخليفة إن أراد صدوداً

فقال سعيد : عليّ به !! فردوه، وهو يريد قتله ، فسأله عن الشعر فرواه له هكذا :

إنا لضرابون في حمس الوغى رأس المتوّج إن أراد صدوداً
عن طاعته الرحمن أو خلفائه إن رام إفساداً وكرّ عنوداً

فقال له سعيد : لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك

والحقيقة أن قصائده الكثيرة قد جاورت آذان الأمويين حتى سمعها كل الناس فقد روى أن مسلمة بن عبد الملك سمع بقول ثابت — ومسلمة هو الذي تولى قتال يزيد بن المهلب :

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا كانوا ليومك يا يزيد شهوداً

فقال مسلمة لوددت والله أنهم كانوا شهوداً يومئذ فسقيتهم بكأسه .

إن ثابتاً حزين على يزيد وبني أبيه ويتمنى أن لو شهد يومهم ليقاتل معهم عصبية منه لأنهم أقرباؤه وبنو قبيلته ولكنه يلومهم على أخطائهم فإن معاوية ابن يزيد بن المهلب قتل أسرى كانوا لديه فخاطبه ثابت بقوله :

ما سرّني قتل الفزاري وابنه عديّ ولو أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت « معاوىّ » زلة وضعت بها أمري على غير موضع

ثابت معجب بالأبطال من قبائل أخرى :

هذا تعصبه لقبيلته مجاراة لروح العصر ولكنه لشجاعته وبطولته كان يقدر البطولة ويحترمها ويمدحها حينما وجدت بين زملائه وقادته في بلاد خراسان وصحاري ما وراء النهر .

وهذه بعض قصائده في أولئك الأبطال ترى فيها معارك الفتوح مصورة بفن ثابت وشعره الواضح الصادق :

كان في نواحي مدينة سمرقند قلعة تسمى « قصر الباهلي » نزلتها مائة عائلة من العرب وأحاط الترك يوماً بهذه القلعة فاستغاث أهلها فخرج لنجدتهم المسيب بن بشر الرياحي التميمي من مدينة سمرقند باربعة آلاف جندي من جميع القبائل فلما سار بهم قال لهم : إنكم تقدمون على حلبة الترك حلبة خاقان وأضرابه من شجعان الترك والعوض إن صبرتم الجنة والعقاب النار إن فررتم فمن أراد الغزو والصبر فليتقدم . فانصرف عنه ألف وثلاثمائة ثم سار فرسخاً فقال لهم مثل ذلك فاعتزله ألف من الباقين ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل مقالته الأولى فاعتزل ألف وسار بسبعمائة فدائي وثابت قطنة على ميسرته .

ووصلوا الحصن فوجدوا الترك قد أجروا الماء حوله ليمنعوهم من الخروج فقال المسيب لرجاله: ليكن شعاركم يا محمد، ولا تتبعوا موليا، وعليكم بالدواب فاعقروها وليست بكم قلة فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وان كثر أهله ودنوا من الترك وقت السحر وحدث قتال شديد صبر فيه المسلمون ثم انهزم الترك لما قتل ثابت قطنة عظيما من عظمائهم ، ونادى منادي المسيب : لا تتبعوهم واقصدوا القصر ولا تحملوا إلا الماء ولا تحملوا إلا من لا يقدر على المشي ومن حمل امرأة أو صبيا أو ضعيفا حسبة فأجره على الله ومن أبى فله أربعون درهماً . ثم ساروا إلى سمرقند وجاء الترك في

اليوم التالي فلم يروا في القصر أحدا ورأوا قتلاهم فقالوا : لم يكن الذي جاءنا من الإنس . فقال ثابت :

فدت نفس فوارس من تميم غداة الروع في ضنك المقام
فدت نفسي فوارس اكنفوني على الاعداء في رهج القتام
بقصر الباهلي وقد رأوني أحامي حيث ضن به المحامي
بسيفي بعد حطم الرمح قدما أذودهم بذي شطب حسام
أكر عليهم اليحموم كرّاً ككر الشرب آنية المدام
أكر به لدى الغمرات حتى تجلت لا يضيق بها مقامي
فلولا الله ليس له شريك وضربي قونس الملك الهمام
إذا لسمعت نساء بني دثار امـــام الترك بادية الخدام
فمن مثل المسيّب في تميم أبي بشر كقادمة الحمـــام ؟

وغزا أسد بن عبدالله القسري جبال هراة وجبال غرون فقال ثابت يمدحه وقد صحبه في غزواته هذه :

أرى أسداً تضمن مفظعات تهيبها الملوك ذوو الحجاب
سما بالخيل في أكناف مرو توفزهن بين هّلا وهـــاب
الى غورين حيث حوىأزب وصكّ بالسيوف وبالحراب
هدانا الله بالقتلى تراها مصلبة بأفواه الشعاب
ملاحم لم تدع لسراة كلب مهاترة ولا لبني كلاب
فأوردها النهاب وآب منها بأفضل ما يصاب من النهاب
ألم يزر الجبال جبال ملع ترى من دونها قطع السحاب
بأرعن لم يدع لهم شريداً وعاقبها المحض من العقاب

وكان من قادة العرب الذين غزوا في آسيا فاكثروا الغزو وحازوا النصر نصر بن سيار الذي أعجب به ثابت وثابت يماني ونصر مضري فقال يمدحه :

ما هاج شوقك من نؤيواحجار ومن رسوم عفاها صوب أمطار
لم يبق منها ومن أعلام عرصتها إلا شجيج وإلا موقد النار

وماثل من ديار الحي بعدهم مثل الربيئة في أهدامه العاري
ديار ليلى قفار لا أنيس بهـــا دون الحجون وأين الحجن من داري؟
بدلت منها وقد شط المزار بها وادي المخافة لا يسرى بها الساري
نقارع الترك ما تنفك نائحة منا ومنهم على ذي نجدة شار
إن كان ظني بنصر صادقاً أبداً فيما أدبر من نقضي وإمراري
يصرف الجند حتى يستفيء بهم نهباً عظيماً ويحوي ملك جبار
لا يمنع الثغر إلا ذو محافظة من الخضارم سبـــاق بأوتار
إني وإن كنت من جذم الذي نضرت منه الفروع وزندي الثاقب الواري
لذاكر منك أمراً قد سبقت به من كان قبلك يا نصر بن سيار

وغزا الحرشي وهو قائد آخر من قادة الفتوح – الصغد فقال ثابت قصيدة جاء فيها :

أقر العـــين مصرع كارزنج وكشـين ومـــا لاقى بيار
وديواشتي وما لاقى جلنج بحصن خجند إذ دمروا فباروا

ثابت يخالف قادته في سبيل العدل والحق :

كان أعظم قادة العرب طراً الذين عرفتهم آسيا قتيبة بن مسلم الذي ركز أعلامه في أرض الصين بعد أن احتل الصحارى الواسعة والجبال العالية

وقد وصل مدينة كاشغر وهي أدنى مدائن الصين واحتلها وكان عازماً على التقدم لولا أن جاءه نبأ موت الوليد بن عبد الملك وهو خير خلفـــاء الأمويين فيما بنى وعمر، وفي حدبه وبره بالقادة المجاهدين ثم نبأ وفاة الحجاج بن يوسف الذي فرض الأمن والنظام وضمن للقادة تتابع الإمدادات واتصال المساعدات فتوقف قتيبة عن الغزو وتمثل بقول القائل :

فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

وقد حدث إن هذا القائد الكبير غدر بقائـــد من قادة الترك ويسمى « نيزك » فإنه أمنه ثم قتله بعد أن استشار أصحابه ولأن نيزك هـذا غدر

بعهده مع قتيبة قبل ذلك فكان قتيبة مغتاظاً منه ولم يعجب هـذا الفعل من قتيبة ثابت قطنة فقال قصيدة حفظ لنا بها التاريخ هـذا البيت يخاطب به قتيبة :

فلا تحسبن الغدر حزماً فربما ترقت بك الأقدام يوماً فزلت

هذه واحدة أما الثانية فإن والي خراسان أشرس بن عبد الله دعا أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فأجابوا إلى ذلك ، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية وطالبهم بهـا فنصبوا له الحرب ذلك أن أشرس قال: ابغوني رجلاً له ورع وفضل أوجهه إلى من وراء النهر ، فيدعوهم إلى الإسلام . فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف ، فقال : لست ماهراً بالفارسية فضموا معه الربيع بن عمران التميمي ، فقال أبو الصيداء : أخرج على شريطة أن من أسلم لم تؤخذ منه الجزية ، قال أشرس نعم ، قال أبو الصيداء لأصحابـه : فاني أخرج فإن لم يف العمال أعنتموني عليهم ، قالوا : نعم ، فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام فسارع الناس ، فكتب الدهاقين إلى أشرس إن الناس كلهم أصبحوا عرباً فممن نأخذ الخراج ، فأمر أشرس : بأخـذ الخراج ممن أسلم فاعتزل من أهل البلاد سبعة آلاف وخرج إليهم أبو الصيـداء ، وآخرون منهم ثابت قطنة مناصرين فأرسل أشرس المجشر بن مزاحم السلمي لحربهم. فكتب المجشر لأبي الصيداء أن يقدم عليه هو وأصحابه فتقدم أبو الصيداء وثابت قطنة فحبسها. وقال أبو الصيداء : غدرتم ورجعتم عما قلتم .

ثابت يهاجي بعض الشعراء :

أكثر من جرى بين ثابت وبينه هجاء حاجب بن ذبيان المازني وقد لقبه ثابت بالفيل فصار يعرف بحاجب الفيل وسبب ما جرى بينهما أن حاجباً وفد على يزيد بن المهلب بقصيدة يقول فيها :

إليك امتطيت العيس تسعين ليلة أرجّي ندى كفيك يا ابن المهلب

فجد لي بطرف أعوجي مشهر سليم الشظا ، عبل القوائم سلهب
سبوح طموح الطرف يستنُّ مرجم أمر كإمرار الرشاء المشذب
طوى الضمر منه البطن حتى كأنه عقاب تدلت من شماريخ كبكب
وسابغة قد أتقن القين صنعها وأسمر خطي طويل محرَّب
وأبيض من مـاء الحديد كأنه شهاب متى يلق الضريبة يقضب
وقل لي إذا ماشئت في حومة الوغى : تقدم أو اركب حومة الموت ! اركب

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له : قد عرفت ماشرطت لنا على نفسك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، حجتي بيّنة وهي قول الله عزوجل : (والشعراء يتبعهم الغاوون) فقال له ثابت : ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة ، مدحت الأمير ببيتين وسألته حوائجك في عشرة أبيات ، حتى إذا أعطاك ما اردت حدت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك تخدعه . فلج حاجب بعد ذلك في هجاء ثابت ومما قال فيه :

لا يعرف الناس منه غير قطنته وما سواها من الأنساب مجهول

استخلف ثابت مرة والياً على سمرقند فخطب الناس يوم جمعة فأرتج عليه فقال : سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عي بياناً ، وأنتم إلى امير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال :

إلا أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان فقال : والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه ولو أن كلاماً استخفني فاخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها . ولكن « حاجب الفيل » هجا بسبب هذه الحادثة ثابتاً فقال :

أبا العلاء لقـــد لقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق
أما القرُان فلم تخلق لمحكمه ولم تسدد من الدنيـا لتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبتهم فكدت تشرق ـ لما قمت ـ بالريق

تلوي اللسان وقدرمت الكلام به   كما هوى زلق من شاهق النيق

ولثابت أهاجي في حاجب الفيل منها :

أحاجب لولا أن أصلك زيف   وأنك مطبوع على اللؤم والكفر
وأني لو أكثرت فيك مقصر   رميتك رمياً لا يبيد مدى الدهر
فقل لي ولا تكذب فإني عالم   بمثلك: هل في مازن لك منظهر؟
فإنك منهم غير شك ولم يكن   أبوك من الغر الجحاجحة الزهر
فلست بهاج ابن ذبيان إنني   سأكرم نفسي عن سباب ذوي الهجر

ثابت القداني :

ما عرف ثابت إلا في خراسان حيث الجبال الشاهقة التي دونهـا قطع السحاب والفيافي المهلكة التي تلمع فيهـا سيوف الأعداء ، تلك البلاد التي لا يسكنها إلا الخميس العرمرم ، والفتى الذي صمم على الموت وأقدم ، امتلأت أفواه شعابها بأكوام القتلى واختلطت مياه أنهارها بالدماء الحمراء ، فمن أقام فيها إقامة ثابتة كثابت أقام في لهات الموت وبين فكي الأسد . فهي بلاد واسعة شاسعة ، الصين في شرقها والعراق في غربها ، فيها أمم وأجنـاس ذات لغات وعادات متعدد مختلفة ، تمسي قلاعها مصالحة موادعة ، وتصبح معادية غادرة ، وأشد من البلاد وأهلها ومن صحاريها وجبالها هؤلاء الولاة الذين يتبدلون كل مدة يسيرة ، ويتغيرون حسب هوى الخليفة ، اختلفوا في عصبياتهم وقبـائلهم يضعون من كان بالأمس رفيعاً ، ويرفعون من كان قبل أيام وضيعاً ، وإن كانوا جميعاً متفقين في شجاعتهم وحماسهم وجدهم في قتال عدوهم .

في هذه البلاد عاش ثابت لا ندري متى ورد اليها ، ولكنـه استشهد سنة مائة وعشر هجرية وفي هذه الأبيـات نرى كيف قدم ثابت إلى خراسان تاركاً أهله وراءه ثم نسيهم واتخذ بدلهم من الرماح والسيوف زوجـة وأطفالاً :

ما هاج شوقك من بكاء حمامة   تدعوا إلى فنن الأراك حمامـا

تدعو أخا فرخين صادف ضاريا ذا مخلبين من الصقور قطامـــا
إلا تذكرك الأوانس بعدمـــا قطع المطي سباسبا وهيامـــا

لم تكن معركة في سمرقند أو بخارى أو هراة أو كاشغر إلا وشهدهـــا ثابت منذ سنة ثمانين هجرية حيث بدأ التاريخ يذكر اسمه حتى سنة مائـــة وعشر هجرية حيث استشهد وقد يكون ورد خراسان قبل ذلك بكثير .

نعم لقد شهد معارك خراسان كلها مع جميع امرائها في هذه الفترة ولقد شهدت ذلك في أخباره السابقة وفي قصائـده التي ذكرتها ، ولكنه ظهر يوم استشهاده فدائياً عظيماً قصر عن فعـله جميع الفدائيين من رفاقه ، وكان ما أبداه يوم « قصر الباهلي » شيئاً قليلاً الى جانب ما حققه هنا .

حدثتك من قبل أن ثابت سجن لاعتراضه على فرض الجزية على من أعلن إسلامه ، ولما كان في السجن أقبـل أهل السغد وبخاري معهم خاقـان الترك فحصروا جيوش المسلمين فأخرج أشرس ثابت قطنة من السجن بكفالة عبدالله ابن بسطام ووجهه مع عبدالله بن بسطام في الخيل فاتبعوا الترك فقاتلوهم بأمل حتى استنقذوا ما بأيديهم ، ثم تقدم أشرس بالنـــاس الى « بيكند » فقطع العدو عنهم الماء ، فاصبحوا وقد نفد مـاؤهم فاحتفروا فلم ينبطوا وعطشوا فمات منهم سبعمائة عطشاً وعجز الناس عن القتال ، فمر ثابت قطنة بعبـد الملك بن دثار الباهلي فقال له : هل لك في الجهاد؟ فقـــال : انظرني ريثما أغتسل وأتحنط ، فوقف له حتى خرج ومضيا ، فقال ثابت لأصحابـه : أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم ، وحضهم ، فحملوا على العدو واشتد القتال ، وقال ثابت قطنة : اللهم إني كنت ضيف ابن بسطام البارحة ، فاجعلني ضيفك الليلة فحمل وحمل أصحابه فكذب أصحابـــه وثبت ثابت فرمي برذونه فشب ، وضربه فأقدم وضرب فارتث فقـال وهو صريـع : اللهم اني أصبحت ضيفاً لابن بسطام ، وأمسيت ضيفك فاجعل قراي من ثوابك الجنة .

إن ثابتاً مثل ونموذج وصورة صادقة لآلاف مؤلفة من العرب الذين عاشوا في هذه الأرض في أقصى الشرق وعـاش غيرهم في أقصى الغرب بعيدين عن

الأمثال العامية في نجد

- ١١ -

٢٠٩ – أللّي أوّله شرط آخره نور

اللي ، الذي ، وقد استعاضوا بها عن كلمة الذي في جميع كلامهم العامي اذ لا يستعمل كلمة الذي الا من كان منهم متعلماً ، او في الامثال والاقوال التي تروى بما يقرب من صيغتها الفصيحة . والمعنى : ما كان في أوله شرط كان آخره واضحاً حتى كأن عليه نور فلا يكون فيه مجال للخلاف والنزاع. يضرب في الحث على الاشتراط في العقود والاعمال المشتركة قبل الشروع فيها قال الشاعر :

ما كان أوله على   شرط فآخره سلامه [١]

وهو من الامثال التي تستعملها العامة في مصر بهذا اللفظ [٢] . كما سبق للعامة قولهم : (الشرط نور) في القسم الاول .

أرضهم وديارهم صابرين مصابرين حتى تمكنوا من نشر الاسلام واللغة العربية وجعلوا لهذه الأمة مكانة سامية بين الأمم ، وصفحات واسعة في التاريخ كما يفعل اليوم أبطال الفدائيين من إخوانك في فلسطين، فكأن ثابتاً وإخوانه من أبطالنا قد عادوا أحياء في أرض فلسطين يسطرون تاريخاً جديداً لشعبنا الكريم .

الكويت   محمد علي العبد

---

(١) مجمع الامثال ج ٢ ص ٢٠٩ وفرائد الخزائد ورقة ١/٨٤ ومواسم الادب ج ١ ص ١٤٧ وهو كذلك في امثال عوام بغداد لابن الطالقاني

(٢) امثال المتكلمين ص ٣

- ١١ -

٢٠٩ — أللّي أوّله شرط آخره نور

اللي ، الذي ، وقد استعاضوا بها عن كلمة الذي في جميع كلامهم العامي اذ لا يستعمل كلمة الذي الا من كان منهم متعلماً ، او في الامثال والاقوال التي تروى بما يقرب من صيغتها الفصيحة . والمعنى : ما كان في أوله شرط كان آخره واضحاً حتى كأن عليه نور فلا يكون فيه مجال للخلاف والنزاع. يضرب في الحث على الاشتراط في العقود والاعمال المشتركة قبل الشروع فيها قال الشاعر :

ما كان أوله على شرط فآخره سلامه (١)

وهو من الامثال التي تستعملها العامة في مصر بهذا اللفظ (٢) . كما سبق للعامة قولهم : (الشرط نور) في القسم الاول .

أرضهم وديارهم صابرين مصابرين حتى تمكنوا من نشر الاسلام واللغة العربية وجعلوا لهذه الأمة مكانة سامية بين الأمم ، وصفحات واسعة في التاريخ كما يفعل اليوم أبطال الفدائيين من إخوانك في فلسطين، فكأن ثابتاً وإخوانه من أبطالنا قد عادوا أحياء في أرض فلسطين يسطرون تاريخاً جديداً لشعبنا الكريم .

الكويت

محمد علي العبد

---

(١) مجمع الامثال ج ٢ ص ٢٠٩ وفرائد الخزائد ورقة ١/٨٤ ومواسم الادب ج ١ ص ١٤٧ وهو كذلك في امثال عوام بغداد لابن الطالقاني

(٢) امثال المتكلمين ص ٣

٢١٠ — اللّي بلاش ، مايَسْواش ...

اللي : الذي ، وبلاش : كلمة منحوتة من كلمتي بلا شيء ، ويسواش ، كلمة منحوتة — ايضاً — من كلمتي يساوي شيئاً ..

والمعنى : ان الشيء او المتاع الذي تحصل عليه بدون مقابل لا يساوي شيئاً في الغالب لانه لو كان فيه ما يرغب به لما ترك لك . ولذلك قالوا في مثلهم السابق في القسم الاول : اشترد طيب تردّ بفلوسك .

يضرب في النهي عن شراء المتاع الرديء استرخاصاً له .

٢١١ — اللّي بالقَلب كافي .

اللي : الذي ، وهذا المثل في المعنى كالمثل السابق في القسم الاول : الشاهد عندي ، الا انهم يخصصونه في الغالب للاخبار عن البغض ، يريدون ان ما في قلبي من البغض لك ، او من عدم الثقة بك كاف من التماس الدليل على ذلك . أو كاف لرد ما تزعمه من حبك لي .

٢١٢ — اللـي بْقَلبِـه على لِسانِه .

اللي : الذي . أي ما في خاطره من الافكار ، يظهره على لسانه ، وذلك أنه لا يخفى منه شيئاً .

يضرب لمن لا يكتم سرّاً من خلجات نفسه . وسيأتي للعامة في معناه قولهم : ما جاء على قلبه هذى به لسانه ، في حرف الميم من هذا القسم .

هذا المثل موجود لدى العامة في مصر بلفظ : اللي في قلبه على طرف لسانه [1] وكذلك في لبنان [2] .

---

(١) امثال المتكلمين ص ٣١

(٢) الامثال العامية ج ص ١ ص ٨٥

٢١٤ — اللي ما عنده فلوسْ ، يَقْعِد يحُوسْ :

اللي : الذي . والفلوس يريدون بها النقود عامة ، ويحوس : من حاس . عندهم معناها اكثر التردد في مكان مُعَيّن لا يستطيع ان يبرحه ، ولا يستطيع ان يستقر فيه ويطمئن ، وأصل الكلمة فصيح ففي لسان العرب . التحوس : الاقامة مع ارادة السفر ، كأنه يريد سفراً ولا يهيأ له لاشتغاله بشيء بعد شيء [١] ، وذكر الزمخشري من المجاز قولهم : حاستهم السنة ، وأصابتهم سنة تحوسهم ، وتدوسهم [٢] .

وقولهم : يقعد ، أي يظل ويمكث .

ومعنى المثل : من لم يكن عنده نقود فإنه كالرجل الذي يظل متحيراً في مكان معين ، لا هو يستطيع الجلوس جلوس الاطمئنان والراحة ، ولا هو يستطيع البعد عنه أو السفر سفر المرء القاصد الى هدف معين .

يضرب في بيان أهمية النقود،وقد سبق في هذا المعنى قولهم: الدراهم يجيبن بنات الرجال .. وسبق في القسم الأول ويقول ابن فارس [٣] :

قد قال فيما مضى حكيم: ما المرء إلا بأصغريه
فقلت قول امرىء لبيب: ما المرء إلا بدرهميه

٢١٥ — اللي ما فيه خير ، فراقه خير ..

وبعضهم يرويه : فراقه أخير ، أي أكثر خيراً ، واللي : الذي ، أي الشخص الذى ليس في وجوده خير فراقه فيه خير ، أو فراقه أكثر خيراً من وجوده وهذا كالمثل العربي : خلّ من قلّ خيره ، لك في الناس غيره [٤] ..

(١) مادة : ح ، و ، س .
(٢) أساس البلاغة : ج ١ ص ١٣٥ .
(٣) معجم الادباء ج ٤ ص ٩٣ .
(٤) المستقصى ج ٢ ص ٧٦ . ومنتخبات التمثيل والمحاضرة ص ٧ .

٢١٦ – اللـّي ما له دارْ ، كل يومٍ له جار ..

اللي : الذي . معناه ان الشخص الذي لا يملك داراً للسكنى يظل يتنقل في دور الأجرة يكون له في كل يوم جار جديد ، لا يعرف أخلاقه ، ولا يطمئن اليه ، وهذا مبالغة ، في كثرة تنقله .

يضرب في الحث على تملك دار للسكنى .

٢١٧ – اللي ما له لسان ، ياكله الخنفسان

اللي : الذي ، والخنفسان : الخنافس : جمع خنفساء .

ويريدون باللسان هنا : اللسان السليط .

والمعنى من لم يكن له لسان سليط يدافع عن حقه اكلته الخنافس التي هي من أكثر الحشرات هوانا ، وأقلها قدرة على الأكل .

يضرب في بيانه أهمية الحجاج والخصام بالقول في الحصول على الحق أو توقي الضرر . وسيأتي في هذا المعنى في امثالهم قولهم : الحقوق تبي حلوق في حرف الحاء من هذا القسم

٢١٨ – اللـّي ما هوبْ لِكْ ، مَا يَنْفَعْكْ ..

اللي : الذي . وما هوب لك : ما هو لك . والمراد ما هو بملك أو بمال لك .

أي : إن الذي لا تملكه ، لا ينفعك ، ولو كان في متناول يدك . وقد سبق بهذا المعنى قولهم : مـال النـاس عاريّة .. في القسم الأول وذكرنا عنده قول العرب : ما سدّ فقرك إلا ملك يمينك ، ويروى : مثل ذات يدك : بدل : ملك يمينك ..

٢١٩ – ألـلي ما يّاطا على مُخ يْعَثِر ..

اللي : الذي . وياطا : يطأ من الوطء حذفوا منـــه الهمزة كعادتهم . والمعنى : ان الحيوان الهزيل الذي لا يطأ الأرض والمراد يمشي برجل فيها مخ فإنه يتعثر إذا مشى ، لا يستطيع مواصلة المشي .

يضرب في أن الشخص لا يستطيع الاستمرار في النفقة من دون دخل ، كما يضرب للشخص الذي ليس له ظهر شديد من قومه .

هذا ولعل لأصله علاقة بما نقـــل عن أكثم بن صيفي من أمثاله : أشراف القوم كالمخ من الدابة ، وإنما تنوء الدابة بمخها [١] ..

٢٢٠ – اللي ما ياكلك كِله .

اللي : الذي . والمعنى : أي شيء لا ياكلك – بمعنى أنك تقوى عليه ، كُلْنْهُ ، ولا تنظر الى حرمة عملك هذا أو حله . وهذا من أمثال اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا كثيرين في عهود الإمارات في نجد ، ولم يعـد لهم وجود فيها الآن ، ولكن بقي المثل حياً في أفواه الناس ، يضرب للتهكم بمن لا يفرق بين الحرام والحلال . وقد سبق من امثالهم ما معناه : الحلال مـــا حلّ باليد في القسم الأول . ونظيره من الأمثال العامية المصرية : حلال كلناه ، حرام كلناه [٢] .

المدينة المنورة　　　　محمد العبودي

(١) المعمرين ص ١٥ .
(٢) الأمثال العامية ص ٢٠١ .

الحجاز في القرن السابع الهجري
على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي

- ٨ -

فائدة : جرى لي مع الشيخ الامام أبي محمد بن الزجاج - رضي الله عنه - في حالة سماع هذا الجزء عليه في الليلة المذكورة أني رمقت الشيخ وهو قد ضعف عن القعود ، فإنه كان غاية في ضعف البدن ، قد نهكه السن والمرض ، والسفر ، وكان لي وعاء أحمل فيه كتبي ، فدعمت ركبته به ، فنظر إليّ نظر المغضب ، واشار إلى أن استعمال مثل هذا امتهان ، وأبى من تلك ، رضي الله عنه .

رؤيا رأيتها صادقة : رأيت في بعض هذه الليالي الكريمة ، فيما يرى النائم كأني التقط حول الكعبة في المطاف ، في جهة الركن الأسود وزمزم ، ياقوتاً ودُرّاً وبعضه أشرف وأفخر من بعض ، فكان تصديق ذلك يوم أتيت المسجد الحرام فوجدت أبا محمد وابا القاسم ابني الزجاج قد جلسا أمام قبة زمزم يُسْمَع عليهما الحديث فسمعت عليهما جزء أبي العالي ، وفيه الصحيح من الحديث وما دونه ، وفيه شيء من الشعر ، فكان تأويل [......] ذلك الواقع هناك .

[١٠٢] ذكر رؤيا رأيتها (١) ، هي من المبشِّرات ، وهي عن رجاء السعادة من المعبّرات :

رأيت فيما يرى النائم بمكة أو متوجهاً إليها ، في الطريق اليها كأني أحفر قبر النبي ﷺ ، فهبت هـذه الرؤيا ، إلى أن عرضتها على بعض الأصحاب فقال لي : هي رؤيا خير - إن شاء الله - هي طلبك حديث النبي

---

(١) خبر هاتين الرؤييين ملحق في الهامش وفي ورقتين غيره .

ﷺ ، وبحثك عنه . فسررت بذلك ، فلما عدت إلى المغرب اتفق ان طالعت كتاب « الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء » لأبي عمر ابن عبد البرّ — رحمه الله — فوجدت فيه في (باب جامع فضائل أبي حنيفة وأخباره) أن أبا حنيفة — رحمه الله — رآى نحواً من هذه الرؤيا ، وإن لم أبلغ انا ما بلغه ابو حنيفة في رؤياه ، فتضاعف سروري بذلك ، وأرجو أن تكون كناية عن حال الوقت ، وأنال — ... الله — بعد حظاً مما ناله بعد الاستقبال ورؤيا أبي حنيفة هي ما أنبأنا به اجازة مشافهة وخطا أبو الحسن عبدالله بن أحمـــد بن عبد الله الفرضي، وابو محمد عبد الله بن احمد بن عبد الله النفري (؟) قالا : انا أبو القاسم احمد بن يزيد بن بقي (؟) إجازة قال : انا ابو الحسن شريح بن محمد بن شريح بكتابه، أنا خالي انا عبدالله بن احمد بن محمد الخولاني ، اخبره اجازة إن لم يكن سماعاً قال : انا الفقيه الحافظ أبو عمر ابن عبد البر ، الذي اجازني في جميع تصانيفه وفي رواياته ، قال ابو عمر — رحمه الله — : انا حكيم بن منذر (؟) قال انا ابو يعقوب : يوسف بن أحمد — وذكر جملة أخبار ، ثم قال — قال ابو يعقوب : وقال احمد بن الحسن الدينوري قال : انا القاسم بن عبّاد قال انا صالح بن محمد بن يوسف بن رزين عن ابي حنيفة قال : رأيت في المنام كأني نبشت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجت عظامه فاحتضنتها ، قال : فهالتني هـــذه الرؤيا فرحلت الى ابن سيرين فقصصتها عليه فقال : إن صدقت رؤياك لَتُحْيِيَنّ سنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . وانا احمد بن المنذر قال انا القاسم بن عبّاد قال : ذكر لي عن محمد بن شجاع نحو هذا الخبر في الرؤيا إلا انه قال فيه : فجعل يؤلف عظامه ويقيمها — ثم ذكر مثله — وانا أحمد بن الحسن قال انا شعيب بن أيوب قال : نا عبد الحميد بن يحيى الحماني ، قال نا يوسف بن عثمان الصباغ قال : قال لي رجل : رأيت كأن أبا حنيفة ينبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسألت عن ذلك ابن سيرين ولم اخبره عن الرجل فقال : هذا رجل يحيى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو عمر : وحدثنا حكم بن منذر بن سعيد قال : نا ابو يعقوب يوسف بن أحمد قال : نا محمد بن علي السمغاني(؟)

قال : نا أحمد بن محمد بن العباس بن يزيد قال : نا القاسم بن عباد . قال محمد ابن عبد العزيز بن ابي رزمة قال : قال ابو يوسف : كنا نختلف في المسألة [٣٠٣] فنأتي أبا حنيفة فكأنها يخرجها من كمه ، فيدفعها الينا . اه . قلت هذا من تأويل رؤياه الصادقة .

ونحو من هذه الرؤيا ما اخبرنا الشيخ الاديب الحسيب اللغوي ابو محمد القاسم بن محمد الهوزني (؟) الاشبيلي في غرناطة قدمها علينا من افريقية ، كان مجزلاً حظه من تعبير الرؤيا ، يأتي من ذلك بدقائق غرائب وعجائب ، ولم يكن تمكنه في العلم بذاك . فقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال لي : كنت رأيت باشبيلية ، وأنا صبي صغير نحيف ، أحمل على عنق الغلام ، فيما يرى النائم ، كأني في روضة النبي ﷺ ، ورأيت في جانبها طاقاً أتقاصر عن إدراكه ، والناس يتواردون عليه فيدخلون أيديهم في ذلك الطاق ، ويخرجون نعما يلتقمونها ، فرمت ذلك فلم تدركه يدي ، فاخذت قصبة وجعلت أبلُ أسفلها بريقي وأدلّيها من ذلك الطاق ، ثم أخرجها ، فأجد في أسفلها تراباً قد علق بها فابتلعته (؟) ثم أعيد تلك القصبة ، فعلت ذلك الفعل مرات ، واستيقظت ، وقد وعيت الرؤيا فقصصتها على أبي فقال: هل أعلمت أمك بذلك؟ قلت: لا . قال : واستدعى غلاماً لنا فحملني على عنقه مع أبي - رحمه الله - إلى المعبّر المشهور باشبيلية المعروف بالحنتمي ، وكان يأتي في التعبير بأمور يُعجز عن إدراك فهمها ، فقصصت عليه . فقال يا بني : التراب تراث ، وهذا القدر الذي نلت من تراثه ﷺ نزر يسير ، وأرى ذلك أنك تؤتى حظاً من علم التعبير ، فصدق تأويله - رحمه الله -.

ومن غريب ما جرى للشيخ أبي محمد - رحمه الله - من التعبير الغريب وأنا بغرناطة أنه جلس في بعض العشيات مع قاضي الجماعة أبي بكر الاشبرون (؟) الأشبيلي وكان بينهما صحبة وصداقة ببلدهما اشبيلية فقال له القاضي : إني رأيت البارحة أني أقرأ من أول (ياسين) إلى قوله تعالى : (والقمر قدّرْناه منازل ، حتى عاد كالعرجون القديم) فقال له أبو محمد :

تعيش من ليلة الرؤيا ثمانياً وعشرين ليلةً ، أو مثلها جُمَعاً ، أو مثلها شهوراً. فقال له القاضي — وكان قد نيّف على الثمانين — : أو مثلها سنين ؟ فقال : لا يحتمل عمرك ذلك ، ثم قطع الخصوم بينهما الكلام ، فلما كان في الثامنة والعشرين حكم في الجامع الى أن غربت الشمس ، وكان قوياً صحيحاً ،وتوجه الى منزله ، فمات فجأة ، بعد العشاء الآخرة — رحمه الله —

فائدة أخرى [1] : لقيت بالحرم الشريف بعض العلماء الوافدين في الركب ، وأخبرني باسمه فأنسيته ، ولم أره قبل ، ولا بعد ، فجرى الكلام معه في الطواف بالبيت لم شرع فعله على اليسار ؟! فذكرت بعض ما قيل فيه فقال : إنما ذلك لأن الطائف بالبيت مُصَلٍّ مؤتمّ بالكعبة ، ومن شأن الامام إذا ائتمّ به المفرد أن يقف عن يمين الامام ، وهو يسار المأموم ، وهذا الذي قاله هذا الفاضل — ذكره الله في الصالحات — حسنٌ جميل ، ويحتمل عندي أن يكون ذلك لأن يكون ابتداء حركة الطائف على يمين نفسه ، بخلاف لو جعلها على يمينه ، فإنه يكون ابتداء حركته على يساره ، وقد وقع لبعض الصوفية في ذلك إشارة حسنة ضمّنها شعراً ، وهو ما أخبرناه [١٠٤] أنا الشيخ الصالح المقرىء أبو عبد الله محمد بن عياش القرطبي نزيل مالقة ، معينا (؟) لما اشتمل على هذا القصيد ، قال : أنا القاسم بن الطيلسان سماعاً عليه ، قال : أنشدنا سماعاً عليه الفقيه الحاج الزاهد الورع الصوفي العابد أبو جعفر أحمد بن غالب البياني (؟) في الجامع بقرطبة قال : أنشدنا الواعظ الحافظ أبو بكر الاطرابلسي على منبره ، بحرم الله الشريف تجاه الكعبة المعظمة سنة ثمان وثمانين وخمس مائة ، لنفسه ، وقد سأله سائل : لم كان الطواف بالكعبة على الشمال ، والسنة في العبادات التيمن [2] ، وكان رسول الله ﷺ يحب التيمن في شأنه كله ؟ فأنشد — مجاوباً له بعد يوم — :

إنما الكعبة في ضرب المثال كعروس جُلِيَتْ بين رجال
فاستحت منهم ، فغطّت وجهها بأكفٍّ وخمار ، ودلال

(١) بقية الصفحة التي أولها (عبيد بن محمد الحافظ) وقد ألحق بها حواش وصفحتان نقلناها.
(٢) في الهامش : (المعروف : التيامن) .

وثيابٍ كُحْلٍ ، نوريّة	دَلّلوها ، فتناهت في الدّلال
وادي[1] ابراهيمَ كرسيٌّ لها	ثم نصّوا شخصها بين الجبال
تاجُها ميزابها ، إكليلها	ما علاها من بهاءٍ وجمال
زمزمٌ خادِمُها زمّلها	مشعل الحسن فتاهت في الكمال
وإذا طاف بها عاشقُها	ردّها من مرح (؟) على الشمال
فيه سِرٌّ ، ليكون قلبه	أقرب الأشياء منها للوصال
هي أمُّ الحج ، لا شكٌّ ولا	ريب في الحج ، ولا فيه جدال
هي أمُّ الخلق ، منها وُلِدوا	وهي لا حمل لها ، ولا فصال

ولما اكملنا حجنا وعمرتنا طفنا طواف الوداع ، داعين الله تعالى أن لايجعله آخر العهد بتلك الأماكن الشريفة ، والعرصات المكرمة المنيفة ، وكنت حين القدوم أردت دخول البيت – شرفه الله – فمنعني حجبته إلا بعد إعطاء ما يرضيهم ، مما يبذل لهم ، فكان قد حضرني بعض الشيء ، فما طبت نفساً بإهدائه لهم ، فأبوا قبوله ، استنزاراً منهم له ، فرأيت ألا أعينهم على اتخاذ بيت الله مغرما ، وأن لا أشاركهم فيما ارتكبوه [2] مأثماً ، فلما حان الرحيل وزُمّت المطايا ، ولم يبق من السّفْر إلا القليل ، كنت فيمن تأخر ، فألفيت البيت قد تركوه مفتوحاً [١٠٥] فاغتنمت دخوله وأنلت القلب من ذلك سُوله ، اللهم أتمم علينا نعمتك ، وابسط علينا رحمتك ، وودعت البيت ، واخذنا في الرحيل ، راغبين الى الله في التيسير والتسهيل .

ذكْرُ بِدْعة عظيمة أحدثتها العامة ،قد عايّنا بعضها، وعلمنا ما لم نعاين.

وقد بيّن ذلك الامام ابو عمرو بن الصّلاح –رحمه الله تعالى– فقال: وقد ابتدع من قريب بعض الفجرة الختالين في الكعبة المكرمة أمرين باطلين:أحدهما ما يذكرونه من العروة الوثقى، واوقعوا في[...] العامة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى، فأحوجوهم إلى ان يقاسوا إليها شدّة وعبثا، ويركب بعضهم فوق بعض ، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ، ولابست الرجال ،

(١) في الهامش : (أراد به صحن المقام ، وفوق كلمة وادي (صح) .
(٢) في الاصل : (اتخذوه) وفي الهامش : (ارتكبوه) .

أو لابسوها، فلحقهم بذلك أنواع من الضرر ديناً ودنيا. والثاني : مِسْمَارٌ في وسط البيت ، وسَمّوه سُرّة الدنيا . وحملوا العامة على أن يكشف أحـــدهم عن سُرّته ، وينبطح بها على ذلك الموضع ، حتى يكرن واضعاً سُرّته على سُرّة الدنيا، قاتل الله واضع ذلك ومختلقه !!وهوالمستعان قلت : ومن الحوادث الشنيعة . طواف النساء ليلاً بالشمع في أيديهن سافرات عن وجوههن ، عاينـا من ذلك ما يُحزن ، وغيرنا منه المستطاع باطفائها في ايديهن ، والله تعالى المسؤول ان يمنّ على المسلمين بمن يدفع البدع ، ويحيي من الدين ما انكسر ، ويلم منه ما انصدع ، بمنّه وكرمه . اللهم أوزعنا شكر نعمك ، وأفض علينا واكب كرمك ، واصحبنا في سفرنا ، وكن معنا ، ولاتكلنا الى حولنا وقوتنا طرفة عين ، انك المنعم الكريم الوهاب .

وحين أثيرت الجمال ، وتنادى الناس بالترحال – وكان قـــد خرج معنا عازما على السفر صاحبنا وأحد رفاقنا الفقيه الفاضل الصوفي الاديب (؟) المتخلق أبو محمد عبدالله بن عمران البسكري – نفع الله به – وكان قد أنفق ما عنده جوداً وسخاء ، حتى لم يبق الا مصحف يقرأ فيه ، وأثواب[١٠٦] ليس لها كبير قيمة ، وسليخة يفترشها – نشأت عنده – نفع الله به – عزية امضاها، وسعادة قضيت له في الأزل فقضاها ، في المقام في تلك المشاهد الكريمة، والمعاهد المظيمة ، وكان أيسر شيء عليه النظم فأخذ بعض الاصحاب في كسر عزيمته عليه وتصعيب المقام دون سبب يرجع اليه – فارتجل جملة أبيات سمعناها منه ، فعلق بحفظي منها :

عليكم سلام الله ، إني عائد الى حيث لا أخزى ، ولا أتندّمُ
الى حرم فيه لقوم هداية وفيه لأرباب المطـــالب زمزم
ومن عرف الرزاق سكن سره (؟) ودرّ عليه الرزق من حيث يقسم

ثم ودّعناه ، وعاد الى خير معاد ، وهو الآن مقيم بها ، مغبوط الحال محمود الخلال ، تقبل الله جواره ، وأجاب في تلك المعالم الشريفة جؤاره ، وكان – نفع الله به – قد ركب البحر معنا من حضرة تونس – حماها الله

تعالى – ومن نظمه ما أنشدناه بعض أصحابنا عنه ، ان لم يكن سمعناه منه :

أمَلْتُ رؤيتكم ، وكانت مقلتي ترنو الى شيء من الاعراضِ
فأبتْ جلالة قدركم ما رُمْتُهُ حتى تطهّرها يَدُ الأمراضِ

خاطب بهذين البيتين صاحبنا ورفيقنا أيضاً في هذه الوجهة ، الأديب الصوفي المحقق ، الفقير المتخلّق ، أبا محمد عبد الله بن الوزير أبي عبد الله الطيروي (؟) الشريشي المولد ، السبتي المنشأ ، ثم التونسي ، وكان قد [١٠٧] قدم تونس – حماها الله – وأراد رؤيته ، فاعتراه رَمَدٌ منعه عن رؤيته ، فلما عوفي من مرضه وتلاقيا قال هذين البيتين ، وأنشدني له بعض أصحابنا :

أهلاً وسهلا بالذين أحبّهم وأحلّهم مني بمنزل ناظري
قوم إذا ذكروا حديث نبيّهم لم يخرجوه عن المراد الظاهر

رؤيا صالحة ، تدل على أعمال له ناجحة :

أخبرني رفيقي الوزير أبو عبد الله ابن أبي القاسم قال : كنّا بمكة جلوساً مع صاحبنا أبي محمد البسكري ، وأبي محمد الطبري ، قال : فأغفى الطبري فاستيقظ متعجباً فقال : رأيت الساعة عيناً تنبع في بيتنا ، أو عندنا في الارض ، وقطر ينزل عليها من السماء مسامتاً لها قال : فمدّ أبومحمد البسكري يده من كمّه وأخرج وانشمه (؟) في يده وهو يحركها فقال : هذه هي العين النابعة . صدق صلى الله عليه : « إنه لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل الصالح ، أو تُرَى له » .

ذكر سفرنا من مكة شرّفها الله ، قافلين الى طيبة ، زادها الله طيبا

رحلنا من ظاهر مكة – شرفها الله – بعد ظهر يوم الاثنين الخامس عشر لذي حجة ، راغبين الى الله تعالى في القبول ، مزمعين بمشيئة الله على العود إلى حضرة الرسول ، داعين ببلوغ السول ، فما زلنا نسير منزلا منزلا ، متعرضين

للبركة في كل إقامة وحركة ، إلى قريب الفجر من الليلة الخامسة والعشرين ، وقد شارفنا المدينة — شرفها الله — فنزل مطر وابل ، ولمعت بروق ملأت ما بين السماء والأرض ، وعشيت الجمال ، وماد بعضها على بعض ، حتى انقطعت الأنساع ، وتكسرت الهوادج ، وعاينّا أمراً هائلاً ، كهول البحر حالة اغتلامه ، فوقف الناس ساعة عن المسير ، ثم أديل من العسر اليُسر ، وأشرق الفجر ، وسرنا — حامدين الله شاكرين — إلى أن وافينا المدينة — على ساكنها الصلاة والسلام — عشي يوم الخميس ، من صبيحة اليوم الخامس والعشرين .

ولما وصلنا ذا الحُليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار، واحتدم الشوق لقرب المزار، وكان صاحبي ورفيقي الوزير الفاضل، الاديب الحافل ، الماجد الكامل ابو عبدالله — منحه الله العافية، ومسح عليه يمينه الشافية— قد أصابه رَمَدٌ ، فعند معاينة تلك المعاهد الكريمة أحسّ بالشفاء من ألمه ، فبادر الى المشي على قدمه ، احتساباً لتلك الآثار ، وإعظاماً لمن حلّ تلك الديار، وأنشدنا لنفسه في وصف الحال ، وكتبه لي — بَعدُ — بخطه :

ولمّا رأينا من ربوع حبيبنا بيثرب أعلاماً أثرن لنا الحُبّا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا شُفينا، فلا بأساً نخاف ولا كربا
وحين تبدّى للعيون جمالها ومنبُعدها عنا أُديلت لنا القُربى
نزلنا عن الأكوار ، نمشي كرامة لمن حلّ فيها ان نلمّ بها رَكْبا

ولما قضينا واجب السلام على خير الأنام ، وصاحبيه المعظمين المقدمين في الصحب الكرام ، المخصوصين بما لم يخصّ به أحدٌ من أهل الاسلام ، [١٠٨] عدنا الى رحالنا .

وكانت إقامتنا هناك بقية يوم الخميس ، ويوم الجمعة بعده ، ويوم السبت ، وصدر يوم الأحد ، نتردد إلى الصلوات ، وإلى تحيته — ﷺ ، وصاحبيه — رضي الله عنهما — بأكرم التحيات .

---

(١) في الهامش فوق كلمة أديلت : (صح) .

مع أبي الفرج الأصفهاني في كتاب «الأغاني»

– ٣ –

تمهيد :

منذ بدأ اتجاهي لدراسة كتاب « الأغـــاني » لأبي الفرج الاصبهاني .. والاطلاع على ما يقع تحت يدي من كتب أو دراسات عنه .. وجدت نفسي في خضم متلاطم الأمواج من الآراء عن هذا الكتاب الخالد .

وهي آراء .. يمسك بعضها برقاب بعض .. حيناً في لطف وهـدوء .. وحيناً آخر في قسوة وعنف ..!!

ورأينا من فعل الوافدين أنهم إذا فرغوا من الصلاة أدارت الصفوف كلهـا أعناقها الى أيسارها ، وقالت برفيع من أصواتها : السلام عليك أيهـا النبيُّ ورحمة الله وبركاته ، ولم نرَ من ينكر ذلك الفعل ، ولا بلغنا أيضاً فعله عن السلف – رضوان الله عليهم – فأنا لا أنكر ذلك ولا أراه (؟) .

ذكر بعض ما جرى لي هنالك :

قرأت مكتوباً في وجه الخزانة الكريمة ، التي تقابل المتوجـه إلى الروضة الكريمة ، وهي التي يضع الناس فيها الكتب الواردة بالتسليم عليه ، صلى الله عليه وسلم – هذين البيتين :

سعدتم به ، يا زائرين ضريحه　　أمِنتم به يوم المعاد من الرِّجْس
سلمتم وأضحيتم بأكناف (طيبة)　　فطوبى لمن يضحي بطيبة ، أو يُمسي

وبلغني أن هذين البيتين من كلمة لمحمد بن رشيد – بفتح الراء وكسر الشين – البغدادي الواعظ ، وهذه الخزانة الموضوعة في هذا الموضع كأنها قصد بهـا ألا يستقبل المصلي شيئاً من الروضة الكريمة ، ولذلك بنيت من الجهة الجنوبية على زاوية حادة لئلا يستقبل المصلى منها شيئاً . والله أعلم .

(للبحث صلة)

مع أبي الفرج الأصفهاني في كتاب «الأغاني»

- ٣ -

تمهيد :

منذ بدأ اتجاهي لدراسة كتاب « الأغـــاني » لأبي الفرج الاصبهاني .. والاطلاع على ما يقع تحت يدي من كتب أو دراسات عنه .. وجدت نفسي في خضم متلاطم الأمواج من الآراء عن هذا الكتاب الخالد .

وهي آراء .. يمسك بعضها برقاب بعض .. حيناً في لطف وهـدوء .. وحيناً آخر في قسوة وعنف ..!!

ورأينا من فعل الوافدين أنهم إذا فرغوا من الصلاة أدارت الصفوف كلها أعناقها الى أيسارها ، وقالت برفيع من أصواتها : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ولم نرَ من ينكر ذلك الفعل ، ولا بلغنا أيضاً فعله عن السلف – رضوان الله عليهم – فأنا لا أنكر ذلك ولا أراه (؟) .

ذكر بعض ما جرى لي هنالك :

قرأت مكتوباً في وجه الخزانة الكريمة ، التي تقابل المتوجه إلى الروضة الكريمة ، وهي التي يضع الناس فيها الكتب الواردة بالتسليم عليه ، ﷺ – هذين البيتين :

سعدتم به ، يا زائرين ضريحه ‏ أمنتم به يوم المعاد من الرّجْس
سلمتم وأضحيتم بأكناف (طيبة) ‏ فطوبى لمن يضحي بطيبة ، أو يُمسي

وبلغني أن هذين البيتين من كلمة لمحمد بن رشيد – بفتح الراء وكسر الشين – البغدادي الواعظ ، وهذه الخزانة الموضوعة في هذا الموضع كأنها قصد بها ألا يستقبل المصلي شيئاً من الروضة الكريمة ، ولذلك بنيت من الجهة الجنوبية على زاوية حادة لئلا يستقبل المصلى منها شيئاً . والله أعلم .

(للبحث صلة)

لقد وجدت بعض الباحثين ممن تصدوا للتـأليف أو الكتابة عن كتاب « الأغاني » وصاحبه يغالون مغالاة شديدة في تقويمهم للكتاب وصاحبه .

ووجدت الآخرين يميل منهم فريق الى العنف والقسوة على ابي الفرج .. وفريق آخر يميل الى الاتزان والعـدل .. أو بالاصح يميل الى البحث العلمي المجرد .

والحق يقال انني وجدت — خير ما وجدت — مما وقع تحت يـدي من مؤلفات عن أبي الفرج الاصبهاني ، وكتابه الاغاني .. كتاب الدكتور محمـد أحمد خلف الله « صاحب الاغاني : ابو الفرج الاصبهاني الرواية » خير كتاب ، وخير مؤلف ، وخير باحث ودارس لهذا المؤلف الخالد .. ودعك من انه لم يستوف بحثـه كاملاً .. فهو — مثلاً لم يتعرض لمصادر أبي الفرج إلا من نواح غير كافية أو غير مستوعبة كما لم يتعرض لها —أي المصادر— أي كاتب او مؤلف ممن قرأت لهم ، ولكن بصرف النظر عن ذلك يعتبر — من وجهة نظري — احسن كتاب اطلعت عليه عن كتاب الأغاني وصاحبه .. لأن شخصية مؤلفه واضحة بارزة — وكدت أقول طاغية — من خلال النصوص التي أوردهـا ، ومن خلال فهمه لهذه النصوص .. ومن خلال تعليله لها أيضاً .

ان الرجل قادر قدرة طاغية من خلال تصديه لهذا الموضوع .. فهو تصد لو بعث الاصبهاني لراعه منه ما راعني ..

وعلى هذا الكتاب اعتمدت بقدر وافر من الاعتماد في سبيل التأكد من وجهات النظر التي كونتها عن أبي الفرج وكتابه الأغاني من قبل !!

وكنت قبل ذلك قد اطلعت — مثلاً — على كتاب « أبو الفرج الاصبهاني وكتابه الأغاني » للاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي .. المصحح بـدار الكتب المصرية ، وهو كتاب على غاية كبيرة من الجودة . من حيث الجمع .. أقول من حيث الجمع ، ومن حيث الجمع فقط .. إذ قد جمع طائفة لا يستهان بها من النصوص والآراء لقدماء ومحدثين عن كتاب الاغاني .. وقـد راجعت بعض ما يهمني من تلك النصوص في مظانها فوجدت الرجل دقيقاً أميناً في النقل .

أما من حيث شخصية المولف ، وبجمل رأيه .. فهو على ناحية من الضعف مؤسفة .. إذ ما كنت أتصور ان من يستطيع القدرة على هذا الجمع يكون بهذا القدر من الضعف والخذلان في رأيه !!

ولقـــد اطلعت أيضاً على كتاب « أبو الفرج الأصبهاني » للاستاذ شفيق جبري وهو كتيب صغير من سلسلة (نوابغ الفكر العربي) وهي في رأيي – مع احترامي للقائمين على شؤونها وللاستاذ شفيق جبري أيضاً – سلسلة غايتها التجارية ، أو على الأقل الشعبية ، واضحة جداً .

واقل ما يدل على رأيي هذا ضآلة حجم الكتاب – سواء كتاب شفيق جبري أو غيره من السلسلة - في نفس الوقت الذي تتصدى فيه كتب هـذه السلسلة لموضوعات هامة؛ ولكن لا شك ان هذه السلسلة تؤدي دوراً لا بأس به على مستوى الثقافة الشعبية .. أو الثقافة العاجلة .

أما على صعيد البحث فذلك ما لا ترقى اليه هذه السلسلة (نوابغ الفكر العربي) !. وقرأت أيضاً كتاب « علوم الحديث ومصطلحه » للدكتور صبحي الصالح .. وهذا الدكتور يبدو لي شديد الاختصاص بموضوعه .. أو بموضوع كتابه هذا .. فانني سبق أن درست – على طريقتنا .. القديمة – علم مصطلح الحديث ...

وبقدر ما كانت دراستي لهذا العلم دراسة قديمة – وان كنت ما أزال في مستهل شبابي .. – كان اعجابي فائقاً بالدكتور صبحي الصالح . لا لشيء الا لأنه يعرض علم (مصطلح الحديث) بأسلوب عصري جذاب .. لا يستغني عنه القدامى .. ولا يملك الشبان أمثالي إلا التطلع اليه !!

وهذه ليست كل مصادري عن كتاب « الأغـــاني » .. فبالاضافة إلى الكتاب نفسه الذي قرأته مرات لا تقل عن اصابع اليد الواحدة، ولا تزيد .. فضلاً عن مقالات ودراسات . وعن أخبار مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ العربي .

ولست أدري ما الذي دعاني إلى الاستطراد في هذه المقدمة بهذا الشكل . إذا لم يكن الشأن هو انني من الذين لا يحملون درجات علمية — كماجستير ، ودكتوراه .. و . والخ — وأن هؤلاء الذين يحملون هـــذه الدرجات لا يؤمنون — أو لا يكاد بعضهم — يؤمن بغيرهم من خلق الله الذين ابتلاهم — سبحانه وتعالى — بحب الاطلاع والقراءة !!

وذلك بحجة إن الذين ليست لديهم مؤهلات أو شهادات لا يستطيعون الخوض في البحوث بطرق علمية ومنهجية ..!!

وأما بعد : فإنني سأتجه فوراً الى موضوعي « الأغاني وصاحبه في ميزان الرأي بين قدماء ومحدثين . »

يذهب بعض الأدباء بكتاب « الأغاني » مذاهب بعيدة حيث يعتبرونه حجة من الحجج المطلقة .. وخاصة فيما يسنده من الروايات .. فإن الروايات المسندة شيء فاتن ، في نظر كثير من أغبياء الباحثين . أو المتأدبين .. أو ادعياء البحث والأدب ..

ومن ذلك قول صاحبنا المشار اليه آنفاً الاستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي في كتابه « ابو الفرج الاصفهاني ، وكتابه الاغاني » ص ١٠٩ : (والاغاني لا يعتبر اهم مرجع للتـــاريخ الادبي إلى القرن الثالث الهجري ، فحسب ، بل يعتبر كذلك اهم مصدر لتاريخ الحضارة الاسلامية للدولتين الأموية والعباسية)

وهذا القول من الأقوال التي ظاهرها الرحمة ، وباطنها العذاب .. فانه من الصحة بمكان ان يكون كتاب الأغاني من أهم مصادر تاريخ الحضارة الاسلامية للدولتين الاموية والعباسية .

ولكن — وهنا مربط الفرس — لا يمكن لكتاب « الأغاني أن يرقى الى هذا المستوى بشكله الحاضر ، او بنصوصه أو رواياته المسندة أو غير المسندة .. فان ذلك كله مما يشول في كفة البحث المجرد .. وإنمـــا يستطيع الباحث الحديث أن يرقى بكتاب « الأغاني » الى أكثر من هذا المستوى .. إذا هـو

تصدى لقراءته ، وفهمه ، ومقارنة نصوصه بغيرهـا .. وألم بمصادره وميوله واتجاهاته .. يستطيع من ثم ان يستخلص لنا منه العلم الجزيل بشكل يلائم الذوق العصري الحديث .

وارجو الرجوع الى ص ١٧٥ من نفس كتاب الاستاذ عبد الجواد الاصمعي إذ إن ما أسلفته هو بالقرب من رأي الدكتور طه حسين الذي يقول عنـــه الاصمعي في نفس الكتاب :(أدامه الله ذخراً للعلماء والادباء) ويقول الدكتور طه حسين ايضاً : أما نحن فأشد من هؤلاء القدمـــاء طمعاً ، وأكثر منهم تحفظاً .. ولا تكفينا أسماء الثقات من الرواة [فما بالك بغيرهم ممن ليسوا من الثقة في شيء ؟] ولا يكفينا جمال القصيدة وجودة المقطوعة ، وإنما نريد ان نتخذ كل شيء موضوعاً للبحث والنقد والتحقيق والتحليل ، ولا نكاد نفرق في ذلك بين الأدب والعلم ، ونحن محقون لأننا لا نبتغي من الادب والتـــاريخ رواية الاعاجيب والعظات ، ولا ارضاء الذوق والميل الفني ، وإنمـــا نتخذ الأدب والتاريخ مرآة للأمم وسبيلاً الى فهم حياتنا العقلية والشعرية والى فهم ما خضعت له من ألوان النظم المختلفة [١] .

أجل هذا هو الرأي ... ولا يمكن بدون ذلك ان يعتبر كتاب الأغاني : (أهم مصدر للحضارة الاسلامية للدولتين الأموية والعباسية) كما يقول الأستاذ الأصمعي ..

ثم هو نفسه ايضاً يضيف في كتابه — ص ٢٨٠ — قوله : (ويعتبر كتاب الاغاني أول المراجع التاريخية والادبية الكبيرة التي تغلب عليها صحة النقل ، وتحري الصواب) .

انني لا أملك ، ولا استطيع ان املك إلا العجب من أمثال هذه الاقوال (صحة النقل وتحري الصواب) مع ان مؤلف « الاغاني » نفسه لا يزعـــم لنفسه .. هذه الصحة ولا ذلك التحري .. بل هو — أي الاصبهاني نفسه — قد نبه وأكد على أنه يحرص في كتابه على جمع كل ما قيل في بابة كتابـــه ..

---

(١) راجع نفس الكتاب ص ١٧٦ .

لا يكاد يهمه صدق ما يجمع من كذبه .. فانما هو راوية .. ولم يكن له شأن المؤرخ في (صحة النقل وتحري الصواب) ..

وقد نص في أكثر من موضع من كتابه أنه يكره أن يخلو الكتاب من شيء قد رواه ودونه الناس [١] .

ونص على انه : (يكره أن يؤثر عنه في هذا المعنى ما يبقى على الأيام مخلداً ، واليه على تطاولها منسوباً ، وان كان مشوباً بفوائد جة ، ومعان من الآداب شريفة [١])

وإذا كان ينبه أحياناً إلى أن هذا الخبر أو ذاك : (الصنعة فيه واضحة أو مكذوب) فقد قلنا في بحث سابق: انه انما يفعل ذلك لا لغاية التحقيق ، وتحري الصواب بقدر ما هو إبراز لمكانته في علم الرواية — وهو بحق كذلك— ولكن لم يكن من غايته في كتاب الأغاني سوى (الامتاع والمؤانسة) وان ما يأتي : (في كل فصل من ذلك بنتف تشاكله ، ولمع تليق به ، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة إلى مثلها ، ومتصرفاً فيها بين جد وهزل ... الخ [٣])

وأشار كذلك في مقدمته انه يعرف أن : (في طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء، والاستراحة من معهود إلى مستجد، وكل منتقل اليه أشهى إلى النفس من المنتقل عنه ، والمبتكر اغلب على القلب من الموجود [٤])

وارجو ان تضعوا خطاً تحت العبارة الأخيرة وهي (والمبتكر أغلب على القلب من الموجود) ضعوا خطاً ... ثم اقرأوا معي هذه الفقرة من كتاب « تأريخ الأدب العربي » للمرحوم مصطفى صادق الرافعي ص ٢٨٣ ج ١ — :

---

(١) راجع مثلا ص ١٧ ج ١ من الاغاني .
(٢) ج ١٨ ص ١٦١ الاغاني
(٣) من مقدمة الاصبهاني .
(٤) ج ١ ص ١٥ الاغاني .

(أما القصاص فإنهم كانوا يميلون وجوه القوم اليهم ، ويستدرون مـا عندهم بالمناكير والغرائب والأكاذيب من الاحاديث ... وللقوم في هذه الفنون الاكاذيب العريضة ، والاخبار المستفيضة)

وان الذي لا شك فيه ان الاصبهاني قد حاول جاداً أن يميل وجوه القوم اليه – خاصة وان باعث تأليف كتابه كان بطلب من رئيس – واتى بمناكير وغرائب واكاذيب من الاحاديث .. ينص هو نفسه على كذب بعضها .. ولكنه يوردها لا لشيء إلا لأنها قيلت.. وإلا لأنه يحرص الا يفوته أي شيء مما قيل ، وان كان كذباً .. ذلك لأنه يحرص ان يستدر مـــا عند القوم – على طريقة القصاص – ولو بالأكاذيب العريضة والاخبار المستفيضة . !!

وهل هناك أكثر استفاضة من روايات ابي الفرج وأخباره ؟

ثم ان ابا الفرج من المتفوقين في الاسلوب ، والحبكة ، والابـداع الفني والادبي لذلك أجد نفسي ملزماً بالاشتراك في الرأي مع الدكتـور أسد رستم حيث يقول : (ولا نرى بدأ في هذه المناسبة من مصارحـة المؤرخ المستجد بأن شكنا في عدل الراوي يتناسب أحياناً كثيرة مع تفوقه في الإبداع الفني والادبي .. فكلما ازداد الراوي ابداعـــاً في اسلوبه الادبي ازددنا شكاً في عدله [1]) !!

ترى مَن مِن الرواة يملك الابداع في الاسلوب الادبي كما يملك الاصبهاني؟؟

والحق انه لا يمكننا مؤاخذة الاصبهاني بسبب ذلك .. فهو قـد تبرأ .. بل طالبنا بعدم مؤاخذته بهذه الأسباب ، ما دام قد نبه الى طريقته في جمع الكتاب وتأليفه .

ولكننا نورد هذه النصوص ، والأقوال ، والآراء بقدر ما نريد أن ننظر

---

(١) كتاب مصطلح التأريخ ص ٦٥ .

في كتاب « الاغاني » نفسه .. كأثر بارز من تراثنا الضخم .. تلزمنا دراسته ولا شيء يمنعنا من ابداء الرأي فيه .

وبين ايدينا الآن - بالاضافة الى ما تقدم - طائفة من الآراء لقدمـاء ومحدثين ممن لهم ثقل في ميزان الرأي .. وسأحاول ابداء رأيي متى لزمني ذلك ، في سبيل المقارنة والاستنتاج والحصول على نتيجـة تستوجب إبـداء الرأي .

١ - قال النوبختي فيه ، وهو من معاصريه : (كان أبو الفرج الاصفهاني أكذب الناس . كان يدخل سوق الورافين ، وهي عـامرة بالدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها [١]) .

وقد علق شفيق جبري على ذلك بقوله : - (يسلخ صاحب الأغاني خمسين سنة من تأليف كتاب الأغاني .. ويتمم فيه الصدق ، وشدة التوقي على قدر الامكان . فيجهد نفسه في البحث عـن أصح الأخبار والروايات والأحاديث ، ويتبرأ فيها من كل عهدة ، ويحاسب الرواة على الأكاذيب والخطأ .. يؤاخذهم بكل تحامل وحمق وسب وشتم وتجهيل . فيجيء أحد النقاد فيقول : انه أكذب الناس دون أن يكلف نفسه بيان موطن من مواطن هذا الكذب [٢]) .

فأما قول النوبختي : (كان أبو الفرج أكذب الناس) فإننا لا نملك من الأدلة ما يدحض هذا الزعم أو يثبته بشكل قاطع،وأما أن روايات الأصبهاني كلها من الصحف التي يشتريها من الوارقين المملوءة دكاكينهم بالكتب الخ .. فهو قول يكاد يمس أنفت الحقيقة .. وذلك لأسباب أقلها أننا أثبتنا فيما سبق من هذا البحث ان الأصبهاني كان يحرص الحرص كله ألا يفوت شيئاً مما قيل من بابة كتابه عن صدق أم كذب .. ولهذا لا يمكن أن يضيره - وهـو

(١) ص ١٤ - ١٥ كتاب (ابو الفرج الاصفهاني) لشفيق جبري .
(٢) المصدر السابق نفس الصفحات .

بجوار الصاحب بن عباد – شراء الصحف الكثيرة .. وأن ينقل من رواياتها الشيء الكثير .. فتلك هي عادة القوم يومئذ .. ولم تنشط سوق الوارقين إلا من هذه المادة . وذلك وبعد أن استفاض تدوين الرواية .. وأصبحت تقدم على أطباق من ذهب فنون الأساليب والتنميق والتزويق للخلفاء ، والرؤساء ، وسراة القوم !!

ثم ان الأصبهاني نفسه يشير في كتابه أكثر من مرة بقوله : (نقلت من كتاب كذا .. أو نسخت من كذا) ليس في كتاب الأغاني فحسب بل في كتابه « مقاتل الطالبين » أيضاً يقول الاستاذ السيد احمد صقر محقق وشارح هذا الكتاب في المقدمة : (وقد أتى أبو الفرج بروايات مدخولة وأحاديث موضوعة لم يعقب عليها . ولكنه أمر نقده على بعضها الى أن يقول : وكنت إذا ما رأيت أبا الفرج ينزع نزعة مسرحية نقلت من أقوال ثقاة المؤرخين ما يرجع الحق إلى نصابه ، ويرد التاريخ إلى محرابه [1])

ونحن الآن بين أمرين أهونهما شرّ، الأمر الأول : ان يأتي الأصبهاني بهذه الروايات المدخولة من عنده فيكون إذن كما قال عنه النوبختي. والأمر الثاني : أن يأتي بهذه الروايات المدخولة من سوق الوارقين .. وهذا ما يؤيّد قول النوبختي أيضاً بأن معظم روايات الاصبهاني من الكتب التي يشتريها من سوق الوراقين ..

وأما تعليق شفيق جبري الذي أوردناه انفاً فإنه لو لا أن مثله وأمثاله من الآراء من الحوافز التي دفعتني لكتابة هذا البحث .. إذ وجدت لشفيق جبري أضراباً وأشباها من اخواننا الأدباء .. ويذهبون بكتاب الأغاني مذاهب بعيدة لو بعث الأصبهاني من قبره لهالة منها ما هالني !!

لو لا ذلك .. ولو لا ما يقتضيه البحث لما أوردت رأى شفيق جبري

---

(١) من مقدمة احمد صقر لكتاب (مقاتل الطالبيين) طبع دار احياء الكتب العربية .

فإن فيه مغالاة شديدة بغير قليل من التسرع .. فالاصبهاني نفسه لم يقل قط أنه تتبع الصدق وشدة التوقي .. بل قال انه يحرص على جمع كل ما قيل، لا يهمه صدق ذلك من كذبه .

أما أنه يحاسب الرواة والأكاذيب على الخطأ .. فإن ذلك لم يحصل إلا في مناسبات معينة من كتابه ورواة بذاتهم .. ومع ذلك مع نقده ومعرفته لهذه الروايات الكاذبة الزائفة يوردها في كتابه لا لشيء الا لأنه يحرص على جمع كل ما قيل ..

أما أن يفاخر شفيق جبري بأن الأصبهاني كان يؤاخذ الرواة بكل تحامل وحمق وسب وشتم وتجهيل .. فإن ذلك ليس من التبرئة في شيء للاصبهاني .. بل هو الادانة كل الادانة .. والافمتى كان التحامل والحمق والسب والشتم والتجهيل مما يؤخذ به في مجال النقد ؟ ومتى كان التحامل والحمق والسب والتجهيل من وسائل البحث ؟ أو من أدوات النقد ؟!

ومما هو أطم في رأي شفيق جبري انه لم يورد مثلاً واحداً على حكاية (تتبع الصدق وشدة التوقي) عند أبي الفرج .. الأمر الذي لا يمكن معه الأخذ برأيه .. ولكن لا شك أن في مثل هذه الآراء المتسرعة فتنة كبيرة على عامة كبيرة من القراء .. فإنه ما دام أن الأصبهاني على درجة من تتبع الصدق، وشدة التوقي .. يجب أن تكون جميع المهازل التي وردت كتابه صحيحة دون أن نبحث عن أصلها وفصلها . فضلاً عن ظلها وذلك مما لا يقول به باحث .

٢ – يقول ياقوت الحموي [١] : (لعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر، جم الفوائد، عظيم العلم جامع بين الجد البحث، والهزل النحت الخ) .

والحق أن ما قاله الحموي يضرب في منطقة موغلة من كبد الحقيقة .. ويهمنا بصورة خاصة – قوله : (جامع بين الجد البحث، والهزل النحت)

(١) ج ١٣ ص ٩٨ معجم الأدباء ط مصر (دار المامون) .

فأما الجد البحت فلو توفر باحث أو أكثر على دراسة الجوانب الجدية في كتاب « الأغاني » ، ومقارنتها بما ورد في كتب ثقاة المؤرخين ، أو ثقاة الرواة .. أو عن طرق أخرى ليس أقلها مصادر الكتاب ، أو تحري النص .. أو عدل الراوي .. وهل أجاز أحد من رجال الحديث روايته أم لم يجزوا .. فضلاً عن وسائل كثيرة لا يعنينا هنا ذكرها .. وبهذا وحده نستطيع التثبت من (الجد البحت) في كتاب « الأغاني » .

أما (الهزل النحت) في كتاب الأغاني .. فحدث ولا حرج .. فهـــو سداة الكتاب ولحمته .. ومع ذلك فإنه – أي الهزل النحت – يمثـــل في الواقع – شئنا أم أبينا – ظلاً من ظلال الحقيقة يجب ألا يستهان به ..

ان الأساطير نفسها – وهي مجرد أساطير – لها في كثير من المواقف ظل حقيقة .. فما بالك بروايات مسندة – ودعك من أهمية الاسناد – لا بد أن يكون لها نصيب من ظل الحقيقة أكثر ..

هذا النصيب من ظل الحقيقة : يجب أن يكون أكبر دافع لرجال البحث في لغة الضاد لاستقصائه وتمحيصه ، وإدارة الرأي فيه .. ولكن واأسفاه : ان هناك وفرة من المفاهيم (القمقمية) تحـول دون كثير من ذلـــك .. وان كان الرأي المعتدل والحجة المنطقية متزنة .. لا بد أن تحطم شيئاً من ذلك !!

واننا لفي أمس حاجة إلى دراسة تراثنا ، وتقديمه لأجيالنـــا بصورة صحيحة صريحة منقحة .. مجردة تجريداً علمياً بعيداً عن قصور الأفهام ، وانغلاق العقول .. فإن تراثنا لم يبق منـــه إلا الصورة التاريخية المجردة – وهي صورة مشرفة والحمدالله – ولكن قبل أن نقنع غيرنا بقالبها المنطقي الحديث .. يجب ان نصنع نحن هذا القالب ونؤمن به !!

٣ – يرى العلامة ابن خلدون – وانا هنا – انقل هذا النص عن كتاب محمد عبد الجواد الاصمعي « أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني » – ص ١٦٨:

(يقول العلامة ابن خلدون : ولعمري انه ديوان العرب ، وجامع اشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ ، والغناء ، وسائر الاحوال ، ولا يعدل به كتاب في ذلك ، فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ، ويقف عندها)

ورأى ابن خلدون له ثقل كبير في ميزان الرأي وان كنت — شخصياً — لا أذهب مع الذاهبين بابن خلدون أيضاً إلى بعيد .. فإنك تلمس في مقدمته وغيرها .. ، ما لو أخضع لصهر البحث الحديث لوجد انه يحتاج — بدرجة لا تقل شأناً — إلى إعادة النظر في أرائه — ولا أقصد رأيه في أبي الفرج فذلك شيء آخر — !!

ومع ذلك فأنا لا يهمني الآن سوى النظر في رأيه في أبي الفرج ، وكتابه « الأغاني » .. فذلك هو موضوع بحثي هذا .. فأن يكون كتاب الأغاني (ديوان العرب) و جامع واشتات المحاسن ، التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ ، والغناء ، وسائر الاحوال) لا شك ان في ذلك مبالغة كبيرة .. أقول كبيرة ..

والا فان كتاب « الاغاني » يحتوي على نصيب لا يستهان بـــه من كل ذلك — وهذه حقيقة — ولكن ان يكون كتاب الاغاني وحده (ديوان العرب) فأنا اتساءل : أين يجب أن يوضع من التراث العربي — شعـــراً أو نثراً — ما لم يرد في كتاب الأغاني ؟.

وكتاب الأغاني — كما هو معروف — لم يحو كل الشعر العربي في الجاهلية وصدر الاسلام .. أي قبل تأليف الأغاني نفسه .. ذلك الشعر الذي هـــو (ديوان العرب) وذلك ما لا تحتويه كلمة ابن خلدون بأنه—أي كتاب الأغاني— (ديوان العرب) .. فتلك أولى المبالغات التي لا تخلو منها مؤلفات القدماء وتعبيراتهم . !!

وأما ما يراه ابن خلدون من أن كتاب الأغاني : (جامع اشتات المحاسن

التي سلفت لهم – أي ، العرب – في كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ) فذلك ما ينطبق عليه ما قلناه آنفاً .!!

وأما قوله (والغناء) فذلك ما لا أملك الا أن أثبته كما هو لأنني لا أجد بين يدي من الأدلة ما يدحضه أو يثبته .!!

وأما قوله – أي ابن خلدون – (وسائر الأحوال) فتلك مبالغة مفرطة .. وإلا فأين نذهب بالمؤلفات التي وصلت إلينا مطبوعة أو مخطوطة.. أو التي لم تصل في (سائر الأحوال) تلك - لا شك – مبالغة مفرطة ، وغير متحفظة نرباً بابن خلدون عنها ولكنها صدرت منه مع ذلك كغيره من المفرطين ، والمفرطين – بتشديد الراء وكسرها – من القدماء والمحدثين !!

قد يقول قائل : إن هذا تطاول مني على ابن خلدون وامثاله . أما أنا فأقول انه لم يقتلنا في دراسة تراثنا وتاريخنا الا شيوع تهمة (التطاول) بيننا .. وإلا فما قيمة الرأي إذا لم يقف موقف النقاش مع ابن خلدون أو غيره ؟ .

ثم يهمني بعد – نزولاً عند بابة هذا البحث – أن نقف عند قول ابن خلدون : وهو – يقصد كتاب الأغاني طبعاً – (الغاية التي يسمو اليها الاديب ، ويقف عندها)

والشيء الذي يهمنا بالدرجة الاولى من وقفتنا هذه عند قول ابن خلدون هذا .. هو انه – وهو المؤرخ المشهور – لم يقل ان كتاب الاغاني هو الغاية التي يسمو اليها المؤرخ ويقف عندها .. بل قال . انه الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها ..

ولا شك ان الغرض معروف بين ما يجب أن يقف عنده المؤرخ .. وبين ما يجب أن يقف عنده الاديب .. وفي ذلك ما يؤيد رأي الدكتور زكي مبارك الذي سنعرضه فيما بعد من بحثنا هذا..وهو رأي يبحث عن الاجابة على السؤال التالي : (كتاب الأغاني . هل هو كتاب تاريخ أم كتاب ادب ؟) .

(للبحث صلة)

علي العمير

حديث الكتب

"تاريخ العرب قبل الإسلام"

للدكتور جواد علي

الحق أن أقول ان الدكتور جواد علي قد هيأ لدراسي التاريخ القديم ومحبيه فرصة الاطلاع على ما كتبه المستشرقون في تاريخ العرب قبل الاسلام ولا سيا الألمان منهم فقد اعتمد المؤلف كثيراً على ما كتب هؤلاء . على أني استكثر أن يكتب عن أحقاب ما قبل الاسلام ثمانية أجزاء كبيرة إذا علمنا ان المواد الأولية المعتمدة هي النقوش وان الأعاجم المستشرقين قد استبعدوا ما كتبه المؤرخون المسلمون الأقدمون عن هذه الفترة .

والآن وقد صدر الجزء الأول من « تاريخ العرب في الاسلام » فلا بد من من أن أفيد منه وذلك لأنه يؤرخ لفترة الاسلام الأولى التي خضعت لعلم التاريخ المدون الصحيح .

وقد دعا المؤلف في المقدمة بلهجة مخططة إلى النقد فقال : « ونقد الناس مهما كانت أهدافه وأغراضه هو في نظر كاتب هذه الصفحات حكمة وتعليم وتقويم ودرس لمن اعتبر ... » .

وعكفت على الكتاب وهو يشتمل على السيرة النبوية من المولد إلى بدء انتشار الدعوة فأفدت من المؤلف وحمدت له جهده وسعيه .

على انني أخذت عليه ملحوظات وددت أن أنشرها لعل فيها غناء وجدوى للدارسين .

أشار المؤلف في الصفحة « ٥١ » إلى (الأحابيش) فقال : وقد تكدس في مكة عدد كبير من (الأحابيش) أي الرقيق الأسود المستورد من افريقية من الحبشة وغيرها . وقد عرف هؤلاء بالأحابيش ، لصلة الحبش

بجزيرة العرب قبل الاسلام بزمان طويل ، ولحكم الحبش لبقعـــة كبيرة من الساحل المقابل لبلاد العرب ، ولكونهم المستوردين لهؤلاء الى اسواق النخاسة في ساحل افريقية ...

ولم يشر المؤلف الفاضل الى المصدر الذي اعتمد عليه في إثبات هـــذه الفوائد . ومع أني لا أنكر أن قد كان في مكة عبدان وان منهم من كانوا حبشاً ، وان ننس لا ننس بلالاً الحبشي فإني أجد الاستاذ المؤلف قــد وهم فتصور « الأحابيش » الذين يتردد ذكرهم كثيراً في تاريخ مكة قبل الاسلام عبيداً أحباشاً بسبب ان الكلمتين تؤلف مادة لغوية معجمية واحدة .

ولو رجع المحقق الى المعجمات اللغوية لبدا له وجه الصواب فقـــد ذكر المجد الفيروز آبادي في القاموس المحيط ان « حُبْشيّ بالضم جبل بأسفل مكة ومنه أحابيش قريش لأنهم تحالفوا بالله أنهم ليد على غيرهم ما سجا ليل، ووضح نهار وما رَسَا حُبْشي » .

وفي «اللسان» ان الاحابيش أحياء من القارة انضموا الى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الاسلام ، فقال إبليس لقريش : إني جـــار لكم من بني ليث ، فواقعوا دماً ، سُمّوا بذلك لاسودادهم ، قال :

ليث ودئل وكعب والذي ظأرت جمع الأحابيش لما احمرت الحدق

فلما سميت تلك الأحياء بالأحابيش من قِبَلِ تجمعهـــا صار التحبيش في الكلام كالتجميـــع .

وحُبْشي : جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش ، وذلك ان بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده فحالفوا قريشاً ، وتحالفوا بالله انا ليداً على غيرنا ما سجا ليل، ووضح نهار، وما أرسى حبشي مكانه، فسُموا أحابيش قريش باسم الجبل ...) وجاء في الصحاح : « والحباشة (بالضم) الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة وكذلك الأحبوش والأحابيش ..

وحبشي جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش وذلك ان بني

المطلق ...

وهكذا نجد الخبر نفسه الذي أشرنا اليه نقلا عن « اللسان » .

وقد نبه لامنس اليسوعي الى المسراد بـ (الأحابيش) كما أشار إلى ذلك المستشرق « مونتغمري وات » في كتابه « محمد في مكة » .

وتبين من هذا الذي عرضنا له ان « الأحابيش » ليسوا أحباشاً عبيداً كما ذهب الأستاذ الدكتور المؤلف الفاضل .

وقد استوقفني في (ص ٩٦) من الكتاب قول غريب هذا نصه :

وأما أمّه فآمنة بنت وهب من بني زهرة من بني النجار من مدينة يثرب . تزوجها عبدالله ، وهو في الرابعة والعشرين » وأشار المؤلف في الحاشية إلى ما يجعلنا نفهم انه اعتمد سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد .

ثم قال : « وكان بنو زهرة من الأسر الشهيرة في المدينة . وكانت تتعاطى التجارة فتذهب إلى بلاد الشام . وهي تشبه في ذلك بني هاشم بمكة ولعل التجارة هي التي ربطت أواصر الأسرتين برباط المصاهرة والدم » .

وقد أغفل المؤلف الإشارة إلى مصادره .

وهذ المسائل مما تجعل القارىء اللبيب في حيرة ، فالذي نعرفـه أن بني زهرة من قريش وان سعد بن أبي وقاص زهري من أقارب آمنة وكان يدعى خال رسول الله (ص) وانه كان أحد الستة الذين رشحهم عمر للخلافة فلو لم يكن قرشياً لأثارت هذه المسألة انتباه المؤرخين ولأشير إلى ذلك .

وفي « جمهرة الأنساب » ص ١١٩ لابن حزم ان « بني زهرة بن كلاب : ولد زهرة بن كلاب : الحارث وعبد مناف فولد عبد مناف بن زهرة وهباً ووهيباً فولد وهب آمنة أم رسول الله (ص) ...

و « هؤلاء ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان (وهم قريش) لا قريش غير ولا يكون قرشي الا منهم ... ولد فهر بن مالـك : غالب ... فولد غالب بن

مَعَ القُرّاء .. في أسئلتهم وتعليقاتهم

حول التراث الشعبي

في مقدمة الجزء التاسع من المجلد الثالث (ربيع الأول ١٣٨٩ ص ٧٦٩ — ٧٧٣) أثرتم قضية العناية بالتراث العامي — أو الشعبي كما سمّيتموه وما أدري كيف تصحّ هذه التسمية — وكان من رأيكم أنها أمر لازم لكل أمة يهمها معرفة تاريخها وماضيها ، واستشهدتم واحتججتم واستأنستم ..

فهد لؤي بن غالب فولد لؤي بن غالب كعب بن لؤي ... وأما كعب بن لؤي فولد مُرة — فولد مرة بن كعب بن لؤي كلاب بن مرة... فولد كلاب ابن مرة قصى بن كلاب وفيه البيت والشرف وزهرة بن كلاب (ص ١١ — ١٢) .

غير ان المؤلف قد نقل عن السيرة والطبقات ان بني زهرة هم من بني النجار !!!

والذي أراه أنه قد وقع في وهم ينبغي الرجوع عنه والاشارة إلى الصحيح . وعبارته كما يأتي في ص ١٠٠ : « أرادت آمنة زيارة أهلها لعرض غلامها عليهم وكانت وقد وعدت أهلها مراراً بزيارتهم وذهبت بــه بأم أيمن جاريتها التي خلفها لهـا زوجها عبدالله ، وبتيت وبقي ابنها معها شهراً في أهلها ... الخ » وأشار المؤلف إلى المصادر في الحاشية .

وأرى ان تعاد كتابة العبارة فيكتب : «أخوال زوجها» مكان «أهلها» . هذه نبذة يسيرة وددت أن أسجلها للفائدة من هذه السفر الجليل .

بغداد

زهير سالم

ومع أني أتفق معكم إلى حد كبير في هذا الرأي فإن لي رأياً فيما أوردتموه حججاً وشواهد على وجوب العناية بذلكم التراث ، وما جرّأني على أن أكتب إليكم بما أرى إلا ثقتي برحابة صدركم .

وقبل أن أقصد إلى ما أنا بسبيله ألاحظ اعتمادكم — في تعزيز ما ترونه على رأي الدكتور طه حسين ، ومهما يكن طول باع الدكتور في الأدب فإن طول باعه في معرفة أدب نجد موضع شك كبير [1] . والحق — من قبل ومن بعد — لا يعرف بالرجال .

١ — وأول ما لاحظته رأيكم أن إحيـاء تراث الأقطار الأخرى — غير الجزيرة — مضعفه لتراث العرب ؛ لأن الكثير منه موروث عن أمم بعيدة عن العرب وعن عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ، فيجب أن يحذر منه ، بل يجب أن يقضى عليه » . ولا أجد معنى لهذه التفرقة ؛ فإن إحياء تراث العامة في الجزيرة — على هــذا القياس — مضعف للتراث العربي الفصيح ، لكنني أعتقد أن التراث العربي أرسخ وأعمق من أن يؤثر فيه دراسة وإحياء غيره من تراث الحضارات السالفة ، ومعاذ العلم أن يدعو أحد إلى الحدّ من دراسة وإحياء تراث الحضارات القديمة ما كان هذا الإحياء والدرس لوجه العلم ذاته ، إنما المحذور هو الدرس المغرض المقصود به الدعوة إلى تقليد ذلكم التراث لأنه من تراث الأمة فحسب بصرف النظر عن قيمته الذاتية :

٢ — ثم قلتم إن أول مظاهر فائدة دراسة تراث العامة يتمثّل في أن تفسير العامة بعض الأمثال يعيننا على تفسير تلك الأمثال الواردة في مظانهـا من التراث الفصيح ، وهذا أمر فيه نظر ؛ فمن المعلوم أن تفسير الأمثال يضطرب اضطراباً كبيراً ، ونظرة مقارنة عجلى إلى كتب الأمثـال [2] تكشف عن هذا أوضح كشف ، فكيف بما ينقله العامة مما تجرّمت عليه القرون !

---

(١) يقوّي من هذا الشك أن يقارن من شاء بين كتاب الدكتور « في الأدب الجاهلي » والجزء الاول من كتابه « حديث الاربعاء » ، وأن يقرأ من شاء كتابه « مع المتنبي » ومقدمة كتـابه « من حديث الشعر والنثر » .

(٢) « الفاخر » للمفضل بن سلمة و « جمهرة الأمثال » لأبي هلال و « مجمع الأمثال » .. الخ.

٣ — ورأيتم أننا « لا نستطيع » فهم ما يرد في كتب النحو واللغة من من مظاهر اللهجات العربية القديمة إلا بملاحظة لهجات العامة التي يمثلها التراث العامي [٣]. وهذه الطريقة — طريقة قياس الماضي على الحاضر — طريقة معروفة في علم اللغة [٤]، ولكنها طريقة كثيرة المحذورات إذا مرّ في خلدنا ما هو معلوم من تطور اللغات، خاصة لهجات الخطاب التي لا يحدها ضابط ولا يحوي نحوها وصرفها كتاب، وإذا لاحظنا الاضطراب الكبير في توضيح تلك اللهجات في الكتب التي ذكرتها [٥].

٤ — ورأيتم أن هذا التراث بما حواه من أسماء المواضع يعين على إيفاء تحديدها الناقص في معجمات المواضع، واستشهدتم بشعر أحد شعراء القرن الثالث عشر. ولكن الناظر يرى في هذا الرأي مغالاة شديدة، فكيف يمكن الاستعانة بشعر قيل في القرن الثالث عشر على تحديد موضع ورد في خبر عن القرون الأولى للهجرة، مع ما تعلمونه من اشتراك كثير من المواضع في أسمائها مع اختلاف أصقاعها مما هو مبسوط في كتب المشترك والمؤتلف والمختلف والمتفق والمفترق مما أنتم أدرى به من سواكم، ومع ما تعلمونه من عيش البدو — وهم أغلب سكان الجزيرة — الذي لا يستقر في مكان، بل يسيّره الخصب والجدب وما يقتضيانه من استقرار أو نجعة. أجل، يفيد هذا التراث علماً بالضرورة لو تهيأ لنا من النصوص ما يتيح متابعة هذه المواضع منذ الجاهلية حتى يومنا. وأنّي ! ولا أنكر — بعد — ما للتراث العامة من قيمة في الاستئناس ما قدُم عهده ووثق سنده.

٥ — ورأيتم أن هذا التراث مفيد للمؤرخ بما دوّنه من الحوادث التاريخية. وأنا أتفق معكم في أن التراث الأدبي مصدر — لا مرجع — للتاريخ، لكنه

(٣) من قبيل سلك نحواً من هذا المسلك المرحوم حفني ناصيف في كتابه « مميزات لغة العرب»، وقفا أثره الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه « في اللهجات العربية ».

(٤) علم اللغة للدكتور وافي ص ٤٤ – ٤٥ (ط ١٣٨٢).

(٥) المزهر ج ١ ص ٢٢١ (ط الحلبي) فقة اللغة (للثعالبي) ص ١٧٣ (ط الاستقامة) مجالس ثعلب ٨١ (ط هارون) جمهرة الاشعار ص ٨٦ (ط بيروت)، اللسان « ع ن ن »، الكامل (ط شاكر) ... الخ.

مصدر ظنين ؛ فإن الأدب – خاصة أدب الأمم المتأخرة في سلم الحضارة – كثير التشويه للحقائق التاريخية ، إذ يندفع الأديب – عن قصد أو غير قصد – الى المبالغة في كل ما فيه رفع لتقديره أو هدير قبيله، وتهوين من قدر عدوه ، وقد يضطر الى الكذب وتغيير الحقائق دفاعاً عن موقفه وموقف قومه وتسويغاً لهزيمتهم أو تملقاً لشعور قرائه ، يعينه على ذلك التعريف الواسع للأدب وآراء الناقدين منذ أيام اليونان إلى يومنا وتساهلهم في المبالغات الأدبية مما تجلى أثره في آثار قدماء الأدباء ومحدثيهم منذ أيام هيرودوت وتاسيت الى عهد دوما وشوقي . فالأدب مصدر للتاريخ، لكن بالشهادة الخارجية وحدها دون الشهادة الداخلية النصيّة (١) .

وبعد ، فهذا ما رأيته في مقالكم موضحاً للتعليق ، وباصطحاب هذه الحدود والتحفظات في درس وإحياء التراث العامي أتفق معكم في الدعوة إلى هذا الإحياء وإلى وضع الكتب المفصلة في تاريخه وتطوره ، ونحوه وصرفه ، ومتن لغته ومظاهر بلاغته ؛ لألا تذهب به صروف الأيام كما ذهبت بتراث العامة في العصر العباسي وما تلاه من عصور ، فلم يبق منه إلا إشارات مقتضبة في أثانيش الكتب التي قصد بها الى التسلية مؤلفوها ككتاب الفرج بعد الشدة و « أخبار الحمقى » و « المستصرف » وبعض فصول « اليتيمة » ، أو التي قصدها أصحابها من تدوين اللهجات العامية – وهي قلة – مثل « الجمانة » و « رفع الامير » .

الرياض عبد العزيز بن حمد العويشق

العــــرب

تبادر إلى ذهني وأنا أقرأ هذه الرسالة ذكر ابني الكريم (ع . ن) وذكر

(١) في النقد التاريخي للانجلوا وأسينوبوس ص ٢٣٢ – ١٣٣ (ط ترجمة د . عبد الرحمن بدوي)، « منهج البحث التاريخي التاريخي » للدكتور حسن عثمان ص ١٢٧ (ط دار المعارف) عرض لهذا الرأي لا يروي غلة .

المثل النجدي (أظنك يا عبد الضاوي أو القعيد !) ومع ذلك فليكن ما يكون ، ولنتجه إلى التعليق على رسالة الكاتب الكريم .

١ — هناك فرق بين التراث العربي الأصيل وتراث الأقطار التي كانت في القديم تحت نفوذ أمم أعجمية ، فجزيرة العرب هي مهدهم وتراثها تراثهم بخلاف الأقطار الأخرى ، وليس معنى هذه الدعوة إلى عدم العناية باحياء تراث أية أمة أرادت احياء تراثها ، ولكن الموضوع موضوع ناحية خاصة كثر الاختلاف بين الباحثين حول احياء تراثها ،

٢ — اما عن موضوع ادراك الدكتور طه حسين لمعرفة ادب نجد ، والشك فيه ، وذلك الشك الناشيء عما كتبه الدكتور عن الشعر الجاهلي القديم ، فإن الأمر يتضح عندما نفرق بين الشعر القديم والشعر الحديث فالشعر القديم يرتكز على الأدلة التاريخية الموغلة في القدم ، والشعر العامي الحديث يقوم على أساس التذوق والفهم المجرد وفرق بين الامرين ، واستشهادنا بكلام الدكتور طه حسين هو الامر الثاني ، وهذا يدركه كل من له المام وفهم .

٣ — اما عن الاضطراب في تفسير الامثال ، فمتى وجدنا في نصوصنا القديمة ، وفي لغتنا العربية الواسعة وفي بيئتنا ولهجتنا الحاضرة ، ما يقرب لنا معنى المثل ، فما الداعي إلى التعمق بالدرجة التي تصل بنا إلى سفسطات من المتحذقين والمتمعلمين في بابي النحو والصرف ممن وجد العرب ، ووجدت لغتهم قبل وجودهم .

٤ — ويقال هذ بالنسبة للهجات العربية التي لا تزال باقية ، منذ أقدم العصور إلى العصر الحاضر .

٥ — ومن أغرب الآراء عدم استساغة الاستدلال بالشعر العامي الحديث على تحديد أمكنة عرفت منذ أربعة عشر قرناً أو أكثر ، فهل إذا وجدنا في شعر شاعر اليوم اسم مكة ؟ يصح القول بأننا لا يجوز لنا أن نستدل به على تلك المدينة المقدسة المعروفة منذ عشرات القرون .

٦ — ولتطور اللهجات باب واسع ولا يعنينا إذا وجدنا اضطراباً كبيراً

بين المتقدمين في تحديد تلك اللهجات ما دمنا نسمعها ، وندركها أكثر مما أولئك الذين عاشوا بعيدين عن العرب وعن بلادهم وعن جزيرتهم ممن كان تأثرهم بما درسوا أكثر تأثرهم بما سمعوا وعلموا وشاهدوا .

٧ — ونكرر القول بأن تراث العرب لا يمكن فهمه الفهم الكامل إلا لمن عايش العرب وساكنهم ، وخالطهم في بلادهم مدة طويلة ، وليس ذلك مما تقتصر دراسته على ما خلفه لنا سلفنا الصالح من العلماء ، وقديماً قالوا : كل احد يؤخذ من قوله ويترك . وللأخ الكاتب أطيب تحية .

قبيلة الرشائدة

[جاءنا من الأخ خلف بن مسعد من الرياض مقال نلحقه فيما يلي]

اذا أردنا البحث الوافي عند قبائل الرشائدة فانه يجب ان نبحث عن الأصل الأول الذي منه العرب جميعاً وإذا عدنا الى ذلك سوف نتطرق الى أن العرب في الماضي كانت على قسمين : العرب البائدة الذين هلكوا وبادوا ولم يعرف التاريخ عنهم شيئاً يذكر والقسم الثاني العرب الباقية : التي قسمها التاريخ الى قسمين هما العرب العاربة والعرب المستعربة وربما كانت لفظة المستعربة من الالفاظ الدخلية ولكن على الارجح ان نقول قسمين كبيرين عرب الشمال وعرب الجنوب فاللغات بين الشماليين والجنوبيين متقاربة اللهجات في الجاهلية ثم جاء القرآن الكريم بلغته العربية الفصحى فوحّد اللغة بين القسمين .

إذا أردنا النسب الى الأصل الأول للرشائدة (بني رشيد) فسوف نرجعهم الى سلالة : معد بن عدنان الذي من سلالته غطفان ومن غطفان عبس وذبيان ورشيد الجد الأول للرشائدة هذا في عصر الجاهلية ولبني رشيد في ذلك العصر صولات وجولات مذكورة في شعر شعرائهم ومن أشعارهم ما حدث لهم وبني عمومتهم في الجاهلية في حرب داحس والغبراء وذلك على أثر السباق الذي سبب الحرب بينهم وكانت مساكنهم آنذاك أواسط نجد لكنها لم تكن مساكن إقامة بل كانوا بدواً أهل رحلة

ينتقلون حيث يكون الماء والكلأ ولم تكن لهم حاضرة معروفة لكثرة تنقلاتهم بل كانت لهم منازل وقت الربيع معروفة ومن منازلهم وقت الربيع (ذات الإصاد) و (الهباءة) وقد استشهد بعض شعرائهم بذلك .

والرشايدة منهم من بقي على بداوته الأولى ينتقل حيث كان الماء والكلاء في أواسط نجد عائشين في أمن الاسلام وعقيدته وناعمين في إيمانهم وعقائدهم الدينية وسائرين على الكتاب والسنة ومنهم من دخل في مدن المملكة لطلب العيش من أعمال وتجارة ولا يزال لهم فروع عديدة معروفة من أهل القرى ومن سكان المدن ومن أهل البادية و من بني رشيد في عصرنا الحاضر :

(١) البراك : ومنهم من سكن المدن في المملكة العربية السعودية ومنهم الباقون على بداوتهم يتنقلون بنجد حيث الماء والكلأ .

(٢) القلادان : وهم فصائل منها الحمد والحمود وكذلك نجد منهم من سكن المدن ، ونجد منهم من لا يزال في البادية ومنهم من سكن القرى كقرية الروض والحليفة بين مدينة حائل وبين المدينة المنورة .

(٣) العوامرة : وهم سكان الحرة ، ومنازلهم بين قرية الحائط وخيبر من جهة الغرب ومنهم من سكن المدن .

(٤) الشرارات : منهم الحاضرة ، الآن والبادية ومنهم قسم يسكن وادي السرحان في الشمال وقسم بين سكاكا والجوف وتيما .

(٥) ومن قبائل بني رشيد : العوازم ، والنوامسة ، والزبون ، والعجارنة ، والفيدة ، والخلوية ، والشوالمة ، والرويضات ، والمضابرة ، والعايضات ، والقعابيب ، والمكالحة ، والفرادسة ، والخيارات والوهادين ، والعراعرة والمهامزة .

(الرياض) خلف بن مسعد العباد

حول بلدة « ثادق »

كتب الأخ الأستاذ محمد الماجري من « الرياض » يقول :

جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي عند الحديث عن اسم ثادق أورد هذه الابيات :

لعقبة بن السوداء قال :

الا يا لقومي للهموم الطوارق وربع خلا بين السّليل وثادق

وقال :

سقى الاربع الأظآر من بطن ثادق هزيم الكلى جاشت به العين املح

وقال عبد الرحمن بن دارة :

قضى مالك ما قد قضى ثم قلّصت به في سواد الليل وجناء عرمس

فأضحت بأعلى ثادق فكأنها محالة غرب تستمر وتمْرس

وفي معجم ما استعجم للبكري : عند ذكر اسم ثادق : انه ماء لبني فقعس قبل القنان قالت ليلى الأخيلية :

وحلأها حتى إذا لم يسغ لها حلىّ بجنبي ثادق وجفيف

وقال الشماخ :

قصد بها عن ثادق وحسائه وصد بها عن ماء ذات المشائر

وقال زهير :

فهضب ، فرقد، فالطوي ، فثادق فوادي القنان ، هضبه فمداخله

فما هو المقصود باسم ثادق في هذه الابيات ؟ وهل هو ثادق المعروفة الآن بالمحمل بنجد وهل ثادق هذه معروفة في القدم؟ وهل منها اناس مشهورون؟

« العرب »

ثادق المذكور في النصوص المتقدمة واد يقع في اعلى القصيم ، وهو من روافد وادي الرمة ، ولا يزال معروفاً ، غير ان بعضهم يبدل القاف جيا فيقول ثادج ، وقد حدد هذا الوادي صاحب كتاب « بلاد العرب » [1].

---

(١) ص : ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٨٤ والكتاب من منشورات دار اليمامة .

أما البلدة الواقعة في اقليم المحمل ، فأنا لم أر لها ذكراً فيما بين يدي من المصادر ، ولكنني أعتقد بانها قديمة لأن اسم ثادق من الاسماء القديمة ، وليس من الأسماء الحدثة ، وقد اختلف اللغويون في معناه ، قال ابن دريد في « جمهرة اللغة » : سألت الرياشي عن اشتقاق اسم ثادق ، فقال : انكم – يا معشر الصبيان تتعمقون في العلم !! وقلت انا – ابن دريد – يحتمل ان يكون اشتقاقه من ثدق المطر من السحاب ، اذا خرج خروجاً سريعاً ، وسحاب ثادق ، وواد ثادق اي سائل .

ونقل صاحب « اللسان » و تاج العروس » عن ابن دريد : سألت أباعثمان الاشناندالي فقال : ثدق المطر من السحاب ، اذا خرج خروجاً سريعاً ، انتهى واذن ، فالاسم قديم ، ولكن ليس كل اسم بلد قديم يكون مذكوراً في معجمات الامكنة ، وفي الكتب التي وصلت الينا ، فقد أغفل المتقدمون الكثير من ذلك ، ومن الامثلة اسم جلاجل ، فنحن لا نجد في الكتب التي بين أيدينا سوى جلاجل اسم نقا من انقية الدهناء ، ولا تذكر الكتب اسم جلاجل الواقع في اقليم سدير الا عرضاً ، كما ذكر ياقوت بان وادي المياه يسقي جلاجل وهو هنا يقصد البلدة التي في سدير ، ولكنه لم يفرده في الذكر في « معجم البلدان .

واعتقد ان اسم ثادق كان يطلق على الوادي ، ثم لما عمرت البلدة سميت باسمه ، أما تاريخ عمران بلدة ثادق ، فأقدم من رأيته ذكر ذلك هو عمر بن محمد الفاخري ، ثم من بعده الشيخ عثمان بن بشر والشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ، فقد ذكروا انه في سنة ١٠٧٩ عمرة بلدة ثادق عمرها آل عوسجة ، من الدواسر وغرسوها[1]

بقيت الإجابة عن مشاهير أهلها ، فلا شك انه خرج منها رجال عرفوا بكثير من الخلال الحميدة ، وهذا ما أرجو ان يتصدى له أحد ابناء تلك البلدة فيكتب لها تاريخاً يوضح فيه تراجم مشاهيرها .

وللاخ السائل الكريم اطيب تمنياتي

---

(١) كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٦٢ من منشورات « دار اليمامة » للبحث والترجمة والنشر »

الشيخ حسين بن محمد آل سليمان

لعل أعمق الاصدقاء صداقة للمرء هو المشارك له في آرائه ، وفي اتجاهاته وميوله ، وكل ما قويت هذه المشاركة ، توطدت عرى الصداقة وازداد تقارب روحي الصديقين ، تقــاربا يصل إلى درجة الاتفاق في المشاعر ، وفي مختلف الاحساسات النفسية ، ولهذا يحس المرء عندما يفقد صديقا بأنه فقد شيئا من حياته ذا صلة عميقة بالروح ، أو جزءا من نفسه ، فيدركه من الأسى والحزن ما لا يدركه عند فقدان قريب ، ذلك ان الصداقة ترتكز على أعماق نفسية صلتها بالروح أكثر من صلتها بالجسد .

وهذا ما أحسست به منذ شهر(ربيع الثاني سنة ١٣٨٩ هـ) عندما سمعت من إحدى الاذاعات نبأ اغتيال أحد أصدقائي الشيخ حسين بن محمد آل سليمان.

والشيخ حسين هذا عرفته قبل أربعين عاما ، حينما كان وكنت طالبين في المعهد السعودي في مكة المكرمة ، فقويت الصلة بيننا على أساس اتفاقنا في كثير من الميول والاتجاهات، ثم طوحت به الاسفار حتى القى عصا التسيار في بلاد الهند ، وعاش هناك قرابة أربعين عاما غريبا عن وطنه واخوانه ، فهو من قرية المفيجر من الحريق من بلاد نجد ، ومن اسرة كريمة المحتد ، غير ان متطلبات الحياة حملته على أن يألف بلاد الغربة وان يقيم هناك .

ولكنه كان أثناء اقامته يقوم بعمل جليل ذي صلة عريقــة بامته وبلاده فقد عرف فيمن عرف هناك نخبة من الأثرياء، من العرب المقيمين في تلك البلاد، فكان يقوم بتعليم اللغة العربية لأبناء بعض من عرفهم ، كما كان ذا صلة قوية

بافاضل علماء الهند اكتسب صداقة كثير منهم وتقدير كل من كانت له به صلة، لما يتصف به من العلم ، ودماثة الاخلاق وسماحة النفس .

وممن قويت به صلته هناك عين اعيان التجـــار العرب ، الثري الكريم الشيخ عبدالله آل فوزان الدوسري القحطاني ، من أهل بلدة ثادق من اقليم المحمل بنجد . وهذا الرجل الشهم كان ذا أيادي بيضاء على بـلاده ، وذا صلة بالمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، وبمشورته ونصحه أمر — رحمه الله — بابتعاث أول بعثة سافرت إلى القاهرة لتلقي العلم ، فقد كان الشيخ عبدالله — رحمه الله — يحرص أشد الحرص على توجيه ابناء بلاده وجهة تمكنهم من خدمة امتهم على اسس قوية من العلم والمعرفة ، وكان ذا حرص شديـد على ان يثقف ابناءه تثقيفاً يؤهلهم لما فيه خير تلك البلاد ، وحسبنا ان نشير إلى ان ممن حظوا بتوجيهه الشيخ عبدالله السليمان اول وزير للمالية في بلادنا ، والاستاذ سليمان الدخيل أول صحفي عرف من نجد ، ثم لا ننسى ابنه الشهم المفضال الشيخ يوسف الفوزان ، الذي تقلب في وظائف في الخارجية آخرهـا وظيفته الآن حيث اصبح سفيراً لبلادنا في لندن .

عاش الاستاذ حسين السليمان هناك ، والحق بوظيفة في سفارة بـلادنا في الهند ، وكان خير مثال للموظف العالم ، الذي ينظر الى الوظيفة باعتبارهـا وسيلة من وسائل العمل النافع الشامل ، لا أداة من أدوات الكسب فحسب ، ولهذا بقي سنين طويلة منخفض الرتبة والراتب ، بينما قفز آخرون أقل منه إدراكاً وعلماً واخلاصاً فتجاوزوه الى مراتب عليا ، ولكن حسيناً — رحمه الله — وان فاته ما يطمح اليه من وسائل الحياة ، فقد نال بكريم خلقـه ، وطيب ذكره ما يبقى أثره ، وقديماً قيل :

وانما المرء حديث بعده   فكن حديثاً حسناً لمـا وعى

لقد وافته المنية شهيداً بطعنة من غادر ، فاجأه هو وخادمه اثناء الليل فقضيا نحبهما — رحمة الله عليهما .

محمد سعيد باغفار

وهذا صديق حميم عرفته أول ما عرفته بطريق المصادفــة ، في مطار البحرين سنة ١٣٧٦ ، وكنا مسافرين اليها ، ومع ان زمن الالتقاء كان قصيراً جداً ، الا ان ما ادركته من لطف الرجل ودماثة خلقه ، حملني على ان احرص على الاجتماع به في الرياض عند العودة ، فكان ذلك ووجدت فيه من الصفات الكريمة ما قوى أواصر الصداقة بيننا طيلة حياته :

والاستاذ محمد سعيد باغفارمن اسرة كريمة معروفة بالثراء ، وقد أكمل الاستاذ محمد سعيد دراسته في كلية التجارة في جامعة القاهرة ، وبعد ذلك رغب عن الوظائف وفضل الاشتغال بالتجارة ، وقام بنشاط واسع ، اتخذ مدينة الرياض مركزاً له ، الا انه مع ذلك ، لم يهمل جانباً هاماً من جوانب الحياة ، وهو جانب التوجيه ونشر الآراء النافعة مما يتصل بحياتــه العمليه ، وهو الجانب الاقتصادي .

وقد اتخذ من الصحيفة التي التي اصدرتها في الرياض (اليمامة) مجالاً لنشر كثير من ابحاثه الاقتصادية، وهي أبحاث تدل على عمق معرفة وحسن توجيه، وقد كان لكثير منها من الأثر الطيب ما دفع الى تحقيق كثير من اقتراحاته وآرائه، كإنشاء مصرف زراعي وغرفة تجارية في الرياض وغير ذلك من الآراء الاقتصادية الصائبة، التي اصبحت بلادنا تسير عليها، ويمتاز الاستاذ محمد سعيد ــ رحمه الله ــ بصفات حببته إلى نفوس جميع عارفيه، من أبرزها طهارة قلبه بحيث لا يحمل أية صفة ليست حسنة حتى لعدوه ، مع انه بهذه الصفة لا عدو له، بل اصبح صديقاً لكل أحد ، واصبح بيته ملتقى لكل عارفيــه ، على اختلاف ميولهم ، واتجاهاتهم ، حتى كانوا يطلقون عليه اسم (بيت الأمــة) وعلى الاستاذ محمد سعيد (ابن الشعب البار) ، وكثيراً ما كان أصدقاؤه يتندرون عليه بهذا اللقب في صحيفة اليمامة ، فكان يقابلهم بضحكة مدوية تحمل كل معاني الطيب ، ونظافة القلب ، وسماحة النفس .

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب في هذا الباب الا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

ولعلماء العراق وباحثيه اتجاه حميد نحو إحياء تراثنا ، أشارت « العرب » إلى جوانب من ذلك الاتجاه ، ومما وصل الينا أخيراً .

● — ديوان بن هرمة .

الاستاذ محمد جبار المعيبد ، من أبرز الباحثين في العراق المتجهين لدراسة

كان الاستاذ سعيد — رحمه الله — قد عاش في أول حياته عيشة ترف ونعومة واحب ان يسير على ذلك في كل حياته ، غير أنه اصيب قبل بضع سنوات بمرض في المعدة سبب له كثيراً من الآلام ، وأرهق جسمه وغير لونه ، بسبب التزامه حمية خاصة في أكله، ولازمه ذلك حتى أوهى قوته ، فصار اصدقاؤه عندما يشاهدونه وقد عرفوه شاباً ممتلىء الجسم ، صافي اللون ، يرونه قد تغير فجأة ، وأصبح كثير الشكوى ، كثير الذهول ، شاحب اللون ، ولكنهم يشفقون عليه ، فيدفعهم اشفاقهم الى ان يصفوه بمنتهى الصحة والعافية ، فتسيل الابتسامة الطاهرة من شفتيه باسترخاء، ولا يكاد يجيب أكثر من ذلك .

وفي أول هذا الشهر (جمادى الأخرة ٣٨٩) يفاجأ اخوانه بخبر مقتضب في جريدة الاهرام ينبىء عن نعيه، وكانت اسرته — والدته واخواته — تقيم في القاهرة ، وكان براً بها الى منتهى البر، فوافته المنية أثناء زيارته لتلك الاسرة الكريمة ، وعاجله الحمام عندما تناول كوباً من عصير (المانجا) فما استقر في جوفه حتى بادر إلى الاستغاثة بطلب الطبيب ، ولكن الامر اسرع من ذلك، ومضى مأسوفاً عليه من كل من عرفه ، فرحم الله سعيداً وعوض اسرته واخوانه وعوضه هو خيراً ، و (انا لله وانا اليه راجعون) .

حمد الجاسر

الشعر القديم ، وإحيائه بالبحث والتحقيق والنشر ، وقـــد صدر له ديوان ابراهيم بن هرمة الشاعر المدني (ولد سنة ٩٠ هـ ، وتوفي سنة ١٧٦)في المدينة ، وقد جمع الاستاذ المعيبد شعره من مختلف المصادر، وحققه وشرحه، فجاء في ٣٥٢ صفحة بطباعة حسنة، وفهارس مفصلة، والذي يدهش القارىء في عمل الاستاذ المحقق ، ويعجبه كثرة مصادره ، ممـا يدل على تعمق بحث ، وقوة صبر وجلد وسعة اطلاع .

● — « ثمن الكفاح »

هذه قصة طريفة سجلها أخونا وشيخنا الاستاذ عبد المحسن بن عثمان أبا بُطَـيّن ، تصور جوانب من حياته الخاصة ، وعبد المحسن كان في اعتقادي ذا أثر طيب في الوعي الثقافي في بلادنا ، فقد كان من أول من أنشأ مكتبة لبيع الكتب في الرياض ، وأول من تصدى لنشر المؤلفات المتعلقة ببلادنا تاريخية ودراسية، وكنت أدعوه ويدعوه غيري (شيخنا) عندما كنت أشتغل ببيع الكتب ، كانت عندي مكتبة دعوتها (مكتبة العرب) وقصته « ثمن الكفاح » تصور جوانب حياته ، كتبها بأسلوب يتلاءم مع فهم أكثر القراء الذين كتبت القصة لهم ، هم وحدهم . فجاءت القصة في ١٥٤ صفحة ، وقد كرم بإهداء نسخة منها إلى العرب التي من عاداتها أن ترحب بكل ما يقدم لها . فشكراً للمهدي ، ومزيداً من كل ما يتصل بالثقافة في بلادنا .

● — « أحلام لا تكذب »

الأستاذ عزة محمد ابراهيم شابٌ عرفته بما قرأت له في صحفنا ، وقـــد نشر هذه الأيام قصة دعاها « أحلام لا تكذب » تقع في ٣٢٣ صفحة بطباعة حسنة ، وهي تصور حياة شاب متطلع إلى الحياة ذي مثل عليا ، تصدم بما تزخر به المدينة التي عاش فيها من مظاهر الترف والمدنية الحديثة، فيصارع تلك المظاهر وتصارعه ويبقى سادراً من أثر ذلك الصراع .

● — « ديوان عدي بن زيد العبادي » .

وعديٌّ هذا كما هو معروف شاعر جاهلي تميمي ، عاش في الحيرة ، في كنف امرائها ، وقد بقي ديوانه إلى هذا العهد ، فحققه الاستاذ محمد جبار المعيبد ، وأضاف اليه ما لم يكن مذكوراً فيه ، وزينه بتحقيقاته وفهارسه الواسعة فجاء في ٢٢٩ صفحة .

● — « شعر الاحوص الانصاري » .

وقـام الاستاذ المحقق الدكتور ابراهيم السامرائي بجمع شعر الأحوص الأنصاري المدني الشاعر الاسلامي ، جمعه من مختلف المصادر ، وحققه وشرحه بعد أن أرجع إلى ما يقرب من مئتي مصدر من كتب اللغة والأدب والتاريخ، فجاء الديوان في ٣٢٠ صفحة، بفهارسه الواسعة، في طباعة جيدة .

● — « ديوان الحارث بن حلزة »

الحارث بن حلِّزة البكري الوائلي شاعر جاهلي صاحب معلقة معروفة وقد سبق للاستاذ الطبيب الذكر سالم الكرنكوي (فريتس كرينكو) أن نشر ذلك الديوان قبل خمسين عاما وقام الأستاذ هاشم الطعان من علماء العراق وباحثيه ، ومن المعنيين باحياء الشعر القديم ، قام بإعادة طبع هذا الديوان بعد أن أضاف اليه المعلقة ، وهو ديوان على صغر حجمه ، حيث لم يتجاوز مع حواشية وتعليقاته ٣٤ صفحة — ومع ذلك فهو مصدر من مصادر دراسة الشعر الجاهلي — .

● — « شرح القصائد العشر »

القصائد العشر هي المعروفة باسم (المعلقات السبع) يضاف اليها ثلاث قصائد للاعشى ، والنابغة ، وعبيد بن الأبرص ، والشارح هو الامام ابو زكريا يحي بن علي الخطيب التبريزي ، العالم الجليل المعروف ، ومع أن هذا الكتاب طبع سبع مرات إلا أن الاستاذ الدكتور فخر الدين قباوة مدرس الأدب القديم في جامعة حلب ، رأى أن تلك المطبوعات لم تستطع على ما بذل فيها من جهد وعناية ، ان تعطي الكتاب حقه في العمل العلمي ، فكان أن قام بذلك معتمداً على الأصل الذي كتب في عهد المؤلف نفسه ، مضيفاً اليه شروحاً وزيادات ، وتحقيقات علمية اكسبت الكتابة قيمة كبيرة لدى الباحثين مع ما

أضاف اليه من فهارس وافية ، فجاء الكتاب في ٥٢٣ صفحة ، بطباعة حسنة ، وتحقيق يدل على الجهد الكبير الذي بذله الدكتور فخر الدين بحيث اصبح به الكتاب وافياً معتبرا من أهم مراجع الباحثين في الشعر العربي القديم

● — « مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي »

قليلون أولئك الذين يعنون بالدراسات العميقة عن أصول تاريخنا العربي ، ومنهم الدكتور عبد العزيز الدوري ذو المباحث المعروفة في هذا المجال ، ومن آخر ما أتحف به الباحثين هذا البحث الممتع الذي دعاه « مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي» ومن فضول القول التحدث عن طول باع الدكتور الدوري في هذا المجال ، الا أن هذا الكتاب يضيف جديداً إلى أبحاث الدكتور المتعمقة في دراسة تاريخ العرب دراسة عميقة . وقد جاء هذا البحث في ١٧٤ صفحة بطباعة حسنة . وهو مما لا غنى عنه لكل من يعنى بالأبحاث العميقة في تاريخ العرب .

● — « بدر شاكر السياب »

أستاذنا العلامة الجليل الدكتور إحسان عباس من مفاخر الأمة العربية في عصرنا الحاضر ، بسعة اطلاعه وتنوع ثقافته ، وبضربه بسهم وافر في كل جانب من جوانب المعرفة قديمها وحديثها ، لا نقول هذا لنعرفه ، فهو أجل من أن يجهل — ولكن ليدرك بعض قراء هذه المجلة — ومنهم من هو محدود الثقافة — شيئاً مما يجب ان يعرفوه عن هذ العالم الجليل ، وكان آخر ما اتحف به الخزانة العربية هذه الدراسة الواسعة عن الشاعر العراقي « بدر شاكر السياب ، دراسة في حياته وشعره » . ومع أن هذا الشاعر لا يزال مجهولاً عند بعض القراء في بلادنا ، فإن هذا الكتاب يعتبر أوفى — ان لم يكن أوفى — ما كتب عنه ، فقد جاءت الدراسة في ٤٢٦ تناولت كل الجوانب الشعرية لهذا الشاعر ، فأصبحت أساساً قوياً لا عن دراسة الشاعر نفسه ، بل عن دراسة تطور الشعر العربي المعاصر مما يعتبره كل باحث مصدراً ثقافياً واسعاً في الثقافة الشعرية الحديثة .

● – مختارات من الامثال العامية التونسية .

والغريب في أمر الأمثال أنها تشبه أن تكون متماثلة أو متقاربة التماثل في مختلف الأقطار العربية ، في شرق البلاد العربية وغربها ، مع اختلاف يسير في لهجات التعبير ، وبين يدي هذا الكتاب اللطيف الحجم الذي قام بتأليفه العالم الباحث التونسي الدكتور الطاهر الخيري ودعاه بذلك الاسم ، وطبع طباعة حسنة في تونس فجاء في ٣٣٧ صفحة فلولا تأثر القطر الحبيب التونسي في بعض كلمات دخيلة على العربية ، من جرّاء التقائه باناس غريبين عن العرب والعروبة ، لأصبحت تلك الأمثال على الصيغة التي كان يلفظها العرب الأقحاح في قلب جزيرة العرب في نجد ، ومع ذلك فإن الأفكار والآراء هي بدون تغيير !

● – « التراث الاسلامي في بيت المقدس »

أخونا وصديقنا الشيخ طه الولي ذو عناية بالدراسات بما له صلة بالتراث الاسلامي في شمال البلاد العربية ، ورسالته التي دعاها (التراث الاسلامي في بيت المقدس وفضائله الاسلامية) تدل على هذه العناية بهذه النواحي ، وهي خلاصة موجزة للآثار الاسلاميـــة في بيت المقدس من مدارس وزوايا وتكايا وغيرها رجع إلى كثير من المؤلفات التي عنيت بهذه الناحية ، وجاءت هذه الرسالة في ثمانين صفحة بطباعة أنيقة فليزده الله توفيقاً وتحقيقاً .

● – « زفرات »

ابننا الاستاذ عبد العزيز التويجري مدير (دار العرب) في الرياض عمل في الصحافة زمناً ونشر مقالات كثيرة بمناسبة وغير مناسبة، ولخص مما نشره حينما كان يتولى التحرير في جريدة « الرياض » مجموعة اختارها من مقالاته ودعاها باسم « زفرات » وما هي سوى نبضات قلب ، وخطرات فكر، لا ترتبط بزمان أو مكان ، جاءت في مائة صفحة تنم عن وعي وإدراك وفهم ، وتتصل بموضوعات حية مما يختلج في نفوس كثير من القراء في بلادنا .

منشورات دار اليمامة

- ١٠أ -

المغانم المطابة من معالم طابة

تأليف: مجد الدين الفيروزآبادي (٧٢٩ ٨١٧ هـ)

تحقيق حمد الجاسر

مجد الدين الفيروز آبادي صاحب « القاموس المحيط » وغيره من المؤلفات أشهر من ان يُعرَّف .

وقد تنقل في الحجاز بين الطائف ومكة والمدينة فألف عنها ، مؤلفات منها : (مُهيج الغرام إلى البلد الحرام) في تاريخ مكة المكرمة .

و « أحاسنُ اللطائف ، في محاسن الطائف » و « فصلُ الدُّرَّة من الخَرَزَة في فضل قرية السلامة على الخَبْزَة » — عن الطائف .

و « المغانمُ المطابة ، من معالم طابة » عن المدينة الشريفة .

وكتابه هذا يعتبر من أهم المصادر في دراسة تاريخ المدينة القديم ، وفي خططها ، وفي مساجدها وآثارها الاسلامية .

وتقوم دار اليمامة بنشر هذا الكتاب في أجزاء ، تولى تحقيق كل جزء باحث أو عالمٌ مختص بموضوعه .

منشورات دار اليمامة
- ٩ -

كتاب «المناسك» وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة

[من أهم المؤلفات الجغرافية القديمة]

تحقيق

حمد الجاسر

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

- ٧ -

بلاد العرب

تأليف

الحسن بن عبد الله الأصفهاني

تحقيق

حمد الجاسر ـ د. الدكتور صالح العلي

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

— ٦ —

البرق اليماني في الفتح العثماني

(تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار غزوات "الجراكسة" و"العثمانيين" لذلك القطر)

تأليف

قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي
(٩١٧ — ٩٩٠هـ)

أشرف على طبعه
حمد الجاسر

منشورات دار اليمامة

— ٥ —

رحلة إلى بلاد نجد

PILGRIMAGE TO NEJD

بقلم

الليدي آن بلنت

LADY AN BLANT

ترجمة محمد أنعم غالب

الثمن : ٧ ريالات (للورق الأبيض الصقيل)
٥ « (« العادي)

وللكمية : تخفيض خاص

منشورات دار اليمامة
— ٤ —

نُبذةٌ تاريخيةٌ عن نجد

أملاها

الأمير ضاري بن فهيد الرشيد

(.... - ١٣٣١ هـ)

مع ملخص :

القول السديد

في أخبار إمارة آل رشيد

تأليف

سليمان بن صالح الدخيل

(١٢٩٠ - ١٣٦٤ هـ)

الثمن : ٥ ريالات (للورق الأبيض الصقيل)
٤ ريالات (» » العادي)

وللكمية : تخفيض خاص

منشورات دار اليمامة

-٣-

بلادُ يَنبُع

لمحاتٌ تاريخيّة جغرافيّة وانطباعاتٌ خاصة

بقلم : حمد الجاسر

الثمن	٥ ريالات (للورق الابيض الصقيل)	
	٤ » (» » العادي)	

وللكمية : تخفيض خاص

منشورات دار اليمامة

— ٢ —

مدينة الرياض
عبر أطوار التاريخ

بقلم: حمد الجاسر

ملحق به :

١ — مجموعة من الصور الأثرية للمدينة
٢ — خارطة كبيرة مقاس ٥٦ × ٤٨ س م

الثمن ٦ ريالات (الورق الأبيض الصقيل)
٥ ريالات (« « العادي)

وللكمية : تخفيض خاص

منشورات دار اليمامة
- ١ -

تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد

ووفيات بعض الأعيان وانسابهم

وبناء بعض البلدان

(من ٧٠٠هـ الى ١٣٤٠هـ)

تأليف
ابراهيم بن صالح بن عيسى
(١٢٧٠هـ - ١٣٤٣هـ)

اشرف على طبعه

حمد الجاسر

الثمن ٧ ريالات (الورق الأبيض الصقيل)
٦ ريالات (الورق العادي)

وللكمية : تخفيض خاص

١ - مخطوطات قديمة لم يسبق نشرها .

٢ - مؤلفات حديثة .

(تقوم دار اليمامة بنشر مؤلفات حديثة ، ومخطوطات قديمة مما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها لتقدم للباحثين حلقات متصلة في هذه الموضوعات مما لم يسبق نشره ، وها هو بيان ما نشره من سلسلة مطبوعاتها ، أما التي لم تطبع بعد فستذكر تباعاً) .

قام بتحقيقها نخبة من
الباحثين والكتّاب

بإشراف

حمد الجاسر

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية



(١) هَل أنت قصير القامة ؟

يمكنك ان تزيد طولك من بوصة الى ٦ بوصات بطريقتنا المركزة

(٢) هَل انت نحيف ؟

يمكنك زيادة وزنك ١٠ أو ٢٠ رطلا او اكثر بطريقة مضمونة

(٣) هَل أنت سمين ؟

يمكنك انقاص وزنك والتخلص من الشحم الذي يزعجك

(٤) هل تشكو تساقط الشعر ؟ او الصلع او الشيب المبكر ؟

حدد العيب الذي تشكو منه وأرفقه مع طلبك جنيهاً أو نصفاً انجليزياً وارسله بالبريد المسجل باسم الطبيب الفسيولوجي (محمد فؤاد ص.ب ١٥١٣ بالقاهرة) يصلك العلاج فوراً ...

كل طلب غير مرفق بالمبلغ المحدد يهمل نهائياً

رئاسة الحرس الوطني

اعلان

تعلن رئاسة الحرس الوطني :

انه الحاقاً للاعلان المنشور في عموم الصحف المحلية عن قرب افتتاح الدورة الثالثة للموسيقى بمدارس الحرس الوطني والذي حدد آخر موعد للقبول فيها ٣٠ / ٥ / ٨٩ هـ .

فانه لاجل اتاحة الفرصة لاكبر عدد ممكن من شباب هذه البلاد العزيزة فانه لذلك قد تقرر تمديد القبول في هذه الدورة حتى نهاية دوام يوم الخميس الموافق ١٤ / ٧ / ١٣٨٩ هـ . فعلى الراغبين للالتحاق بهذه الدورة المبادرة بتقديم طلباتهم لقسم شؤون الطلبة بالمدارس الواقعة بأم الحمام على طريق الرياض ـ الدرعية وبنفس الشروط الواردة في الاعلان السابق معنون باسم (آمر المدارس الفنية والعسكرية) . كما أن على الذين سبق ان تقدموا بطلباتهم ضرورة مراجعة المدارس يوم السبت الموافق ١٦ / ٧ / ٨٩ هـ . وأي شخص يتأخر عن الحضور في هذا الموعد فسوف يستبعد طلبه ... وللعموم جرى نشره ...

من الطالب أو كفيله في حالة عدم وجود الطالب، وهذا المبلغ نفقات الدراسة فقط مهما كانت أقلية المدة التي مكثها بالمدرسة أو التدريب .

هـ / للحرس الوطني حق فصل الطالب عندما يثبت عـــدم صلاحيته للدراسة، وفي هذه الحالة لا يطالب بإعادة النفقات التي صرفت عليه أثناء الدراسة.

٣ ـ أ / يقدم الحرس الوطني للطالب مدة دراسته في هذه الدورة مكافأة شهرية قدرها مائتان وخمسون ريالاً ٢٥٠ وتصرف له الملابس العسكرية ويؤمن له وسائط النقل من الحي الذي يسكنه بداخـل مدينة الرياض إلى المدارس وكذلك العودة منها إلى مقر سكناه بعد انتهاء الزمن المحدد للدراسة يومياً إلا إذا رأى الحرس الوطني من الصالح العام اسكانــه بالمدارس فيؤمن له السكن العسكري فقط .

ب / يتقاضى الطالب بعد التخرج ما يلي :

٢٧٠ ريال راتباً شهرياً
٠٨٠ « شهرياً
٠٨٠ « علاوة فدائيين شهرياً
١٢٠ « « لاسلكي

٥٥٠ المجموع خمسمائة وخمسون ريالاً لا غيره .

جـ / يطلب من الراغبين إحضار كفيل غارم في حالة قبولهم بعــد توفر الشروط الموضحة سابقاً .

د / على الراغبين الالتحاق بهذه الدورة تقديم طلباتهم لآمر المدارس الواقعة في أم الحمام بالرياض طريق الدرعية معنونة (باسم صاحب السمو الملكي رئيس الحرس الوطني المعظم) مـع إرفاق صورتين من حفيظة النفوس مصدقة من الجوازات واحضار الأصل لمطابقتها لدى المدارس وثلاث صور شمسية وثلاث صور من الشهادة الابتدائية مع إحضار الأساس لمطابقتها وآخر موعد لقبول الطلبات ٣٠ / ٧ / ٨٩ هـ .

رئاسة الحرس الوطني

اعلان

عن دورة الاشارة السابعة بمدارس الحرس الوطني الفنية والعسكرية

تعلن رئاسة الحرس الوطني للشباب الطموح بشرى افتتاح دورة الاشارة السابعة بالمدارس الفنية والعسكرية للحرس الوطني بالشروط التالية :

١ — أ / أن يكون الطالب سعودي الأصل والمنشأ .

ب / أن لا يقل سنه عن سبعة عشر عاماً ولا يزيد عن خمسة وعشرين عاماً.

جـ / أن يكون الطالب لائقاً طبياً للخدمة العسكرية .

د / أن يكون الطالب من حملة الشهادة الابتدائية فما فوق .

هـ / أن يقدم الطالب اقراراً خطياً أنه لم يسبق ايقاع الحد الشرعي عليه بالسجن أو الجلد في جريمة عامة أو مخلة بالشرف .

٢ — أ / مدة الدراسة في هذه الدورة من تسعة شهور إلى اثني عشر شهراً يتخرج الطالب من هذه الدورة بالرتبة العسكرية (عريف إشارة) منسع بدل صنف الإشارة حسب النظام .

ب / يتدرب الطالب لمدة أربعة أشهر تدريباً عسكرياً على المشاة وعلى الأسلحة قبل بدء الدورة .

جـ / يتعهد الطالب بالخدمة العسكرية في الحرس الوطني لمدة (خمس سنوات بعد التخرج بنجاح) وللحرس حق فصله ولو لم يتم فترة الدراسة المقررة في حالة عدم نجاحه في الاختبارات الأولية أو لأي سبب يراه الحرس مخالف للأنظمة ، على أن يتعهد بخدمة الحرس في عموم الظروف وفي أي جهة قد يعين بها في انحاء المملكة العربية السعودية .

د / يتعهد الطالب باعادة جميع النفقات التي يبذلها الحرس في سبيل تعليمه متى رغب الإنفصال على أن لا يقل المبلغ عن ستة آلاف ريال ٦٠٠٠ تستوفى